اللقاء بين الزوجين

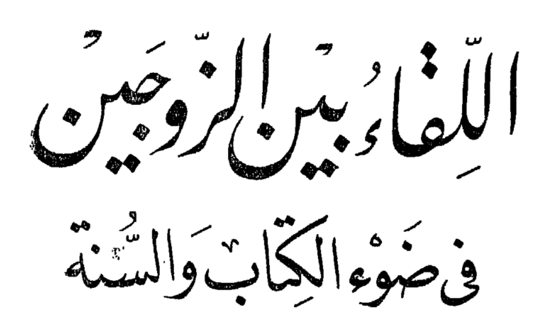
في ضوء الكتاب والسنة



عبد القادر احمد عطا

الناشر
دار التراث العربي
ميدان المشهد الحسيني ت ٩٣٦١٤٥

عبد القادر أحمد عطا



الناشر
دار التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع
ميدان المشهد الحسيني - ت ٩٣٦١٤٥

الطبعة الأولى

ذو القعدة سنة ١٤٠٠ هـ ـ سبتمبر سنة ١٩٨٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

« ان الله لا يستحيي من الحق » •

« لا حياء فى الدين » •

وحينما تشتد الأزمات بين الأزواج ، ويتزايد عدد الناشزات من الزوجات ، والكارهون من الأزواج ، فان السبب الحقيقى يكمن غالبا وراء مشكلات عاطفية أو جنسية ، أو وراءهما مجتمعين •

ولكن الحياء يغلب على المرأة أن تعلن الحقيقة •• فتصطنع أسبابا أخرى مما لا يصلح سببا لهدم علاقة زوجية مقدسة •• ثم تتعقد النفوس ، وتستعصى المشكلات ، ويحاول الناس علاجها علاجا ظاهريا ، ويبقى أصل الداء يعمل فى المجتمع •

ولقد عنيت شريعة الاسلام عناية فائقة بهذه العلاقة بين الزوجين ، وحددت لها المنهاج الناجح ، وبقى على العلماء أن يجمعوا هذا المنهاج فى كتاب ، فلعل الله يجعل للمجتمع فيه مخرجا من المشكلات الزوجية ، ولكنهم لم يفعلوا حياء وتعللا بحجج واهية لا تساعدنا على موافقتهم •

ولقد تكلم علماء صلحاء وعظماء فى علاج مشكلة سرعة القذف التى تجعل الارواء من جانب واحد ، وترك الجانب الآخر يعانى ويصنع المشكلات ، ومنهم السيد مرتضى الزبيدى ، وابن القيم ، وابن الجوزى ، وغيرهم .

لهذا أخرجنا هذا الكتاب الأول من نوعه ، فلعل فيه علاجا للكثير من مشكلات الزوجية ، وطمأنينة ومودة ورحمة بين الزوجين ، والله الهادى الى سواء السبيل ، والموفق لما فيه خير المسلمين .

القاهرة فى غرة شوال سنة ١٤٠٠ هـ
١١ سبتمبر سنة ١٩٨٠ م

عبد القادر أحمد عطا

ورع كاذب .. وحياء مزيف

حينما يتورع المفكرون الاسلاميون عن الخوض فى مسائل لم يتورع عن الخوض فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فان ورع هؤلاء المفكرين ورع كاذب .

وحينما يستحيى هؤلاء المفكرون من ذكر أمور لم يستح رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من ذكرها ، فان حياءهم حياء مزيف .

ولقد تكلم رســـول الله صلى الله عليه وسلم فى مسائل العلاقة الجنسية بين الزوجين ، وأجاب السائلين عن دقائقها رجالا ونساء ، بل وأمر بعض أمهات المؤمنين أن ترشد امرأة الى شأن من أخص شئون النساء ، لا يجوز لرجل أن يتحدث به الى امرأة .

وهنا كان حياء رسول الله صلى الله عليه وسلم وورعه ، ولم يكن من حيائه ولا ورعه أن يغلق هذا الباب فى وجه من يطرقه ، فلا يتحدث فيه ، ولا يأذن للغير أن يســـتفتوه فى مسائله ومشاكله ، وانما كان يقف به الحياء عن مواصلة الحديث حينما يكون متصلا بمواطن لا تحتمل الكناية ولا التورية ، وحينئذ كان يحيل السائلة الى احدى أمهات المؤمنين حيث يجوز بينها وبين السائلة ما لا يجوز بينها وبين رجل .

هذا هو الحياء حيث يجب الحياء ، وحيث يجب أن تكون الحدود مرعية بين الرجل والمرأة ، أو حيث يكون خدش حياء المرأة مقدمة لخدش عفافها اذا تكرر القول الحرج بين الرجل والمــرأة على هذا الضرب من الصراحة واقتحام الأسرار .

ولكن شيوخنا ــ عافاهم الله ــ أغلقوا هذا الباب ، وحاموا حوله ، فتحدثوا عن أدب الخطبة ، وأدب الزفاف ، وأفاضوا فى الحديث ، وعن واجبات كل من الزوجين نحو الآخــر فى كل شىء الا فى العلاقة الجنسية ، فقد مروا عليها مرور الكرام الورعين أهل الحياء ، الذين يرتفعون بالاسلام ــ فى زعمهم ــ أن يعنى بهذه الغريزة الحيوانية وهو دين الحياة العالمية الآمنة .

ما هى العيوب الجنسية التى يمكن أن تقضى على الحياة الزوجية عند كل من الرجل والمرأة ؟

كيف تعالج العيوب النســائية التى تنتهى الى الطلاق أو اتخاذ الخليلات ؟

ما أبعاد السكن الذى شرع من أجله الزواج ؟
كيف تهدم المرأة هذا السكن على جهل وغباء ؟

كيف تكون المرأة لباسا للرجل ، والرجل لباسا للمرأة ؟

كيف يمزق الجهل هذا اللباس ، ويحيله الى خرق بالية تفضح ما وراءها ، ولا تستر المستجير بها ؟

كيف تنحصر عين الرجل وعاطفته فى واحدة ، وتنحصر عين المرأة فى واحد ؟

هل يعتبر الجهل بأصول العلاقة الجنسية الاسلامية بين الأزواج وراء التهتك والبغاء تحت ستار الزوجية ، ووراء بدعة الرفيقة والرفيق الى جوار الزوجة والزوج ؟

كل ذلك وأمثاله أغمض عنه شيوخنا عيونهم المبــاركة الورعة التقية النقية ، فاذا ما تحدث أحد الناس أمامهم بمسألة

من هذه المسائل قلصت وجوههم ، واستعاذوا من هذا الشيطان المريد الذى يلصق بالاسلام مسائل الحيوانية ، ويهمل منه معالى الملائكية .

ونحن نسأل بدورنا : هل يريد هؤلاء أن يقولوا : انهم أعرف بالحياء ومواطنه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

هل عرفوا من مقاصد الاسلام ما لم يعرفه سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ؟

هل أخطأ النبى صلى الله عليه وسلم حينما أجاب السائلين وأرشد الحائرين فى هذه العلاقة التى يقوم عليها بناء الأسرة والعشيرة والأمة فى الاسلام ؟

قال الشيوخ المتوقرون المتورعون أهل الحياء : ان الافاضة فى هذه المواضيع يعطى لأعداء الاسلام سلاحا قاتلا ، يستغلونه فى الدعاية المسمومة زاعمين أن الاسلام يعنى بالغرائز ، ويجتذب اليه الناس عن طريقها .

وقالوا : ان الحيوان فضلا عن الانسان ملهم بغريزته كيف يمارس هذه العملية دون حاجة الى مزيد من الارشاد .

وقالوا : أتريدون أن تعيدوا الى الفكر الاسلامى بدعة التبذل والفحش المتمثلة فى كتب الجنس الداعرة التى كتبها العلماء الأقدمون ؟ أم تريدون أن تنافسوا المصنفات الجنسية المكشوفة التى شاعت حديثا فى كتب ومجلات وأفلام وصور مفضوحة يجب أن نحاربها جميعا بكل قوة ، لا أن نجاريها ، وننسب مثلها لدين الاسلام الخاتم والشامل للبشرية كلها ؟

والحق أن أهل الحياء الكاذب والورع المزيف جهلوا وما علموا .

جهلوا أن شريعة الاسلام حينما تعنى بالتثقيف الجنسى فانما تعنى باحدى شهوتين عليهما تقوم الحياة ، ومن أجلهما كان التشريع كله .. فهذا الحشد الهائل من تشريع الحلال والحرام انما كان من أجل تعديل هاتين الشهوتين ، على طريق صحيح يؤدى الى قيام العمران ، والى انطلاق الدعوة الى مداها ، ألا وهما : شهوتا البطن والفرج .

وجهلوا أن أعداء الاسلام الذين يتخوفونهم انما رضوا من حياتهم بعقيدة مضطربة ، واباحية مخربة ، وأنسوا الى الرذيلة ، وتجردوا من مقاصد الشرائع الالهية ، وأرادوا أن يشدوا المسلمين الى طريقهم بأساليب مختلفة منها هذا الأسلوب الذى يخافه المفكرون المسلمون ، وصدق الله تعالى اذ يحذر المسلمين من صنيعهم بقوله :

« ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء »

(النساء : ٨٩)

« ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ، قل ان هدى الله هو الهدى » . (البقرة : ١٢٠)

وجهلوا أن سياسة الاسلام العليا تهدف الى ربط الانسانية كلها بأواصر المودة والرحمة ابتداء من الزوجين ، ثم الأسرة ، ثم العشيرة ، ثم المجتمع ، ثم الأمة ، ثم الانسانية كلها .. ولن تكون هذه الأواصر قوية وفعالة الا اذا كانت قوية فى بدايتها من الحياة الزوجية بعناصرها الثلاثة وهى : السكن ، والمودة ، والرحمة . ولن تكون تلك العناصر أبدا ما لم تكن العلاقة الجنسية فى أرقى أحوالها من الارواء النفسى والعاطفى الذى هو السكن فى شكله ومضمونه .

وجهلوا أن غريزة الجنس فى الحيوان تختلف عنهـــا فى الانسان •• فهى فى الحيوان موسمية ، وفى الانسان دائمة ، وهى فى الحيوان غير معوقة باهمـــال الأنثى لمظهرها وطيبها وحالتها النفسية كما هى معوقة بهذه المظاهر عند الانسان ••

ومع ذلك فان المتتبع لبعض أنواع الطيور كالحمام يدرك أن من العجمـــاوات ما هو كالانسان فى حاجة الى العواطف العميقة والنظافة وغير ذلك من لوازم العلاقة الجنسية الناجحة فى دنيا الانسان •

وجهلوا أن بدعة التبذل والفحش التى شاعت فى كتب من التراث « كرجوع الشيخ الى صباه » للتيفاشى ، والمنسوب خطأ لابن الهمام ، وكتاب « ارشاد اللبيب » لابن فلتة ، « وما لا يوجد فى كتاب التيفاشى » وغيرها ، والتى شاعت فى المكتوبات الحديثة ، والأفلام المرئية ، وأشرطة التسجيل المسموعة ، كل ذلك انما كان بسبب الجهل بالأداء الصحيح للجنس كما أشـــار اليه القرآن ، وفسرته الســـنة بصراحة ووضوح • وكان من نتائج هذا الجهل انصراف الرجال عن الحلائل الى الخلائل والغلمان ، أو محاولة علاج العنة النفسية بالاثارة الفاحشة ، والممارسات الخاطئة ، ولو أن الناس كانوا على علم بارشاد الكتاب والسنة فى هذا المقام لمـــا كان ما كان •

ولقد أشار الامام الواعظ ابن الجوزى فى كتابه « صيد الخاطر » الى هذا الخطأ حينما علل انصراف الناس عن الحلائل الى الخليلات بأن الخليلة تظهر كل محاسنها ، وتخفى كل عيوبها بما لا تفعله الزوجة الشرعية ، فيألف المنحرف هذا اللون من الممارسة التى تروى الجانب الظمآن من النفس المتعطشة

الى ارواء كامل لا تجده عند امرأة كل قصاراها أن تخلط العيوب بالمحاسن حتى تنفر زوجها الشرعى منها ٠

هذا وغيره تجاهله دعاة الاسلام فى العصر الحديث ، ولم يجهله القدامى ، وتورع عن الخوض فيه المحدثون ، ولم يتورع عن الخوض فيه القدامى ، وان كان الكثير منهم قد جاوز الصواب الى ضروب من الفحش بعيدة عن الهدف الذى من أجله صنفوا كتبهم ، اذا استثنينا المتقى الهندى فى كتابه « العنوان فى سلوك النسوان » والامام السيوطى فى كتابه « شفاء الغليل فيما يعرض للاحليل » وهما من مخطوطات التراث ٠

والحق أن جهل الأزواج والزوجات بالنصوص الاسلامية التى تناولت العلاقة الجنسية بينهما فى الكتاب والسنة هو سبب رئيسى ، بل وربما كان السبب الرئيسى المحـرك للنزاعات الزوجية الدافعة الى الطلاق ٠

والتقاليد الموروثة تعتبر الافضـاء بالسبب الحقيـقى للنزاع ــ اذا كان سببا جنسيا ــ جريمة وعارا ، وهى التى تدفع كلا الزوجين الى اصطناع أسباب أخرى للنزاع خوفا من نظرات المجتمع الخاطىء التى لا ترحم ٠

وذلك أن من نتائج هذا الجهل نفور الزوج أو الزوجة من أن يقترب أحدهما من الآخر اذا كان السبب هو اهمال نظافة الظاهر ، حتى خبثت رائحة الفم أو الجسد ، أو النفور من نفس اللقاء الجنسى اذا كان السبب هو اهمال نظافة الداخل من أعضاء الجنس حتى خبثت هى الأخرى ٠

ويتمادى كل منهما فى اهماله ، وتستحكم عقدة النفس عند كل منهما نحو الآخر ، حتى يصبح نظر كل منهما الى الآخر أو تذكره على البعد موحيا بالنفور ، وهادما لعنصر السكن المنشود من اجتماع رجل وامرأة على سنة الزواج الشرعى •

فاذا صارح أحدهما الآخر بما يعانيه من أزمة النفس قامت القيامة ، وبدأت جذوة الحقد فى الاشتعال حتى ينتهى الحال اما الى الطلاق ، واما الى البحث عن السكن النفسى المزيف فى دنيا الحرام •

ومن أعجب الأعاجيب أن الرجل المنحرف قد يألف نفس العيوب التى نفرته من زوجته اذا وجدها فى زانية محترفة ، وأن المــرأة المنحرفة قد تألف نفس العيوب التى نفرتها من زوجها اذا وجدتها فى زان قد ألف الزنا ، فكيف كان ذلك ؟

كان ذلك لمدخل دقيق من مداخل الخداع النفسى يعز فهمه على الكثيرين • وذلك أن الزناة يجتمعون فى الغالب على مجالس المجاملات والمخدرات والمسكرات ، متجردين عن كل ما هو جدى من شئون الحياة ، يعيشون ساعتهم وحدهــا ، ولا عليهم أن تنهدم الدنيا على من فيهــا بعد ذلك ، مغرقين فى فنون المجون والهزل ، وفاحش القول المضحك حينا ، والمثير للغرائز حينا ، حتى لا يبقى على وجه أحدهم من قناع الحياء شىء •

فاذا هاجت الغريزة بين اثنين على هذا اللون من التفحش ، وتعرية الوجه ، وامعان الرجل فى الكشف عن فحولته بمكشوف القول ، والمبالغة فى احتواء تدلل الأنثى الذى يكون هو الآخر قد بلغ حدا تحركه هواجس الخمر والمخدر ، وفنون الغواية التى تجيدها المحترفات ، فحينئذ لا يحس كل منهما الا بزئير

الشهوة ، والجوع الى مزيد من المثيرات الصناعية التى تزكم الأحاسيس عن كل العيوب والمنفرات •

ويألف كلاهما هذا الجو الصاخب الهائج المتحرر من كل قيمة ، حتى يصبح هو المثالية ، وما عداه شذوذ ، وهى نكسة يصاب بها الخاطئون ذكرها القرآن الكريم عن قوم لوط اذ اعتبروا طهارته جريمة يستحق عليها النفى من البلاد حين قالوا : **« أخرجوا آل لوط من قريتكم ، انهم أناس يتطهرون »** •
(النمل : ٥٦)

وهكذا من ألف الزنا وأجواءه •• يعاشر الرجل امرأة دون جمال زوجته ، وفوق مستوى زوجته فى اهمـال النظافة ، وتجنب المنفرات ، وتعاشر المرأة رجـلا دون مكان زوجها ، وفوق مستواه فيما ينفر امرأة من رجل ، ولكنهما يتآلفان ، ويتواعدان ، ويطول بينهما اللقاء ، حتى يهجر الرجل البيت ، أو تشذ المرأة فتبيت خارج بيتها فى أحضان رفيقها العفنة •

والف الزناة للقذر والعفن وسعادتهم به أمر مقرر فى السنة النبوية ، كما جاء فى حديث المعراج من أن البيئة التى يعاقب فيها الزناة انما هى قمة النتن والعفن ، وجزاء الانسان فى الدار الآخرة على شكل ما قدم من العمل ، فعوقب الزانى بالعفن الذى أحبه ، كما يثاب أهل العفة بالحور العين وما يحيط بهن من أجواء الطهر والجمال •

ولكى يقتنع القارىء بهذا التعليل عليه أن يوازن بين شعوره فى حالة صلاحه إذا وقف فى حانة السكارى ، ومـدى ما يصيبه من اشمئزاز لرائحة الخمر والجو العام للسكارى ، وبين شعوره فى حالة فساده اذا وقف نفس الموقف ، فهو فى

الحالة الثانية أشد ارتباطا بهذا المنفر ، يسعى اليه ، ويسعد به ، ويكتئب ان غاب عنه •

وأول هذه الكارثة كما علمنا غلطة من زوجة أو من زوج •• جهل زوج أو زوجة فى أول حياتهما بتعاليم الاسلام فى آداب اللقاء الجنسى وأصوله •• ونفس عنيدة تستبد بالخطأ ، وتدافع عنه ، وتثور من أجل كشفه ، وينتهى الحال الى نفور ، ثم بحث عن سكن صناعى على غير الوجه الشرعى ، وهو سكن مؤقت مقدر بقدر ما ينفق المنحرف ، وبقدر ما تبذل المنحرفة من شرفها وكرامتها وعفافها •• فاذا انقبضت يد الخاطىء عن النفقة ، أو انقبضت الخاطئة عن بذل ما تبذل من شرفها وكرامتها تحول كل منهما الى بيئة أخرى من بيئات الخطأ ، لتتكرر نفس التجربة ، ويصبح الزنا من مقومات حياة هؤلاء الخطاة ، ومن صميم ثقافتهم •

وقد أشار القرآن الكريم الى أن من جرب الزنا فانه يألفه لا محالة اما بالفعل واما بالتمنى حتى يكون بالفعل ، وذلك فى قوله تعالى : « **الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة** » • (النور : ٢).

فقد عبر باسم الفاعل « الزانية والزانى » واسم الفاعل يفيد التجدد والاستمرار ، كما تقول : فلان قائم • أى : ما زال قائما لم يقعد • وهذا يفيد أن الزناة رجالا ونساء لا يهدأ لهم بال الا فى جو الزنا ، فما يلبثون أن يطرقوا أبوابه ، ويبحثوا عن أجوائه الأكثر فتنة وغواية وتبذلا وفحشا •

وليت الأمر يقف عند هـذا الحد • بل ان هذه الأجواء الصاخبة بجريمة الزنا ومتاعه المزيف ، ما تلبث أن تتحول الى

بيئة للجريمة من خلال تجارة الرقيق الأبيض كما يقولون ••
وذلك أن الزانية قد تصاب بالادمان ، فتتردد على عدد كبير
من الهواة للوفاء بمتطلبات الادمان ، أو لا تصاب بالادمان ،
ولكنها تصاب بما هو أشر منه ، وهو عشق المال وحب الاستكثار
منه ، فتصنع نفس الصنيع لتسد جوعها الى المـــال •• وقد
يسيطر عليها قواد من هواتها فتبذل له المـــال ابقاء على رفقته •
وقد لا يسيطر عليها أحد ، ولكنها تقع تحت سيطرة القوادين
وأشباههم لميزات خاصة فيهـــا فتشذ طباعها ، ويتنافس على
غوايتها الهواة ، ويدفعها القوادون الى الاستغلال ، وربما الى
الجريمة •

ويطول الزمان ، ويشتد الالف بين الجريمة والمـــال وبين
الزانيات ، ويمعن الزانى فى طلب التغيير والتبديل ، ويصبح
ثمن العرض والشرف كسبا مشروعا فى هذه البيئة المنتكسة ،
وربما علم الزوج بنحلة زوجته وأغمض عينيه ، وربما واجهها
وحاسبها ورفع حجاب الحياء • واستقر عرفهم على اعتباره
نوعا من الكسب لا غبار عليه ، ولا خجل منه •

وهذا هو ما وصلت اليه المجتمعات الفقيرة والمترفة على
السواء ، وعلى اختلاف فى الشكل ، واتفاق فى المضمون •

وبيئة واحدة هى التى تبقى على انحرافها سرا مكتوما ، تلك
هى البيئة المتوسطة فى أى أمة من الأمم ، وشر ما فى هذه
البيئة على هذه الحالة هو الخداع ، اذ يعيش كل من الزوجين
بين ألوان من الخداع ، والتفنن فى الكتمان ، وهى على هذا
أقرب الى التوبة والاقلاع من بيئة الفقر والترف ، رغم أنها
هى التى ترحم محاكم الأحوال الشخصية ، كما ترهق العشائر

بنزاعاتها الدائمة والمغلفة بأسباب غير الأسباب الحقيقية حتى يألف العرف الحديث فيها .

هكذا يصل الحال بمجتمعات المسلمين ، بل هكذا وصل الحال بالفعل ، والسبب هو جهل ، واهمال ، وتوقر مزيف من الشيوخ والدعاة عما لم يتحرز من الحديث فيـــه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو من هو عقلا ودينا وفراسة وأدبا وعلما ونظرا بعيدا غاية البعد .

لا ندرى كيف أهمل الكتاب هذا الباب من أصول الاجتماع الاسلامى ، وهو الباب الذى تكلم فيه الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتكلم فيه كبار الفقهاء فى موسوعاتهم ، وقد أفاض ابن قدامة فى الكلام عن هذا الباب فى كتابه « المغنى » والكاسانى فى كتابه « بدائع الصنائع » . والنووى فى كتابه « المجموع » . ولكن حصول الناس على هذه الكتب غير ميسور الا للقليل منهم .

أقول وأكرر : ان مجتمعا قويا متماسكا مترابطا بالأخوة الاسلامية لابد أن يبدأ من بيت الزوجية ، ولن يكون هـــذا الترابط بالمودة والرحمة فى بيت الزوجية الا على أساس من السكن النفسى والجسدى العميق ، ولن يكون السكن وهناك جهل بما يهدم السكن ، وينسف بناءه ، ولن يكون علم الا بمواجهة الحقائق دون خجل ، ودون حساب لتلك الألســـنة السليطة التى لا صناعة لها الا تناول الجادين أهل البصـــائر بالقبيح من القول .

لقد استشرى الداء ، ووصل الناس الى ما تحت حضيض الحيوانية والتسفل ، حتى شك الرجل فيمن تنجبهم امرأته ،

وحتى انعدم الترابط بين مجتمع المسلمين ، فلنبدأ من جديد ، فلعل جيل الشباب الصالح الصاعد يضرب المثل الأعلى فى ربط مجتمعه برباط الأخوة المنطلقة من بيت الزوجية السعيد الساكن .

وأهمس الى شيوخنا الفضلاء بأن العرف لا يعمل به مع وجود النص ، وهم بسلوكهم يعتبرون العرف قائما مع وجود النصوص ، وهذا خطأ فى مسلك العلم ، فضلا عن أنه اثم فى حق الأمة كلها .

وكثيرا ما يكون العرف السائد بين الناس خطرا داهما على المجتمع من حيث لا يشعر الناس .. وما زال العرف الذى يمنع الفتاة من ابداء رأيها فيمن يخطبها سببا فى مشكلات يستعصى حلها .. وكذلك العرف فى انهاك الحساسية فى عضو التأنيث عند الختان .. والعرف فى زجر الآباء والأمهات لأبنائهم زجرا عنيفا ان هم حاولوا التعرف على لون من ثقافة الجنس فى حدود الاسلام .

وفى هذا الحديث الصريح الاسلامى فى نصه وروحه نتحدث الى :

١ ـ دعاة الاسلام والمفكرين فى قضاياه أن ينقذوا المجتمع من شرور الحياء الزائف ، والوقار الذى نلمس له دلالات أخرى غير دلالات الوقار ، نهمس اليهم أن يقتدوا بالرسول صلى الله عليه وسلم ، وبأمهات المؤمنين .

٢ ـ بقايا العقلاء بين الجيل المتقدم سنا من المسلمين أن يرحموا أبناءهم وبناتهم من الضياع والجريمة .. فالآلاف المؤلفة من المحترفات ، والآلاف المؤلفة من الهواة ،

كلهم من نتاج تربية هذا الجيل ، ولهم آباء وامهات أو أزواج واخوة يعيشون بين هذا الجيل •

٣ ـ الجيل الجديد من الشباب الاسلامى بنين وبنات •• فعلى هذا الجيل وحده فى الحقيقة تقوم صحوة الاسلام ونهضته فى كل أرجاء العالم الاسلامى ، فهو جيل يتكاثر من الجنسين يوما بعد يوم ، وهو جيل ملتزم مخلص لله ورسوله ، ومن خلاله نرجو أن يعود الى البيت المسلم سكنه ومودته ورحمته ، ومن ثم الى العالم الاسـلامى كله فى عصر تمزقت بسبب أخطائه كل الروابط الا روابط الدعـارة والترف الحيـوانى الجاهل ، والا روابط العفن العقلى الذى أصبح مفخرة من مفاخر هذا الجيل ، حتى جد العالم فى تقدمه الى الأمام ، وجد عالم الاسلام فى تأخره الى الخلف • وصدق الله اذ يقول :

« وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » •
(محمد : ٣٨)

أقول : ان شباب الاسلام البهيج من الجنسين ظاهرة مرادة من الله تعالى لاستعادة مجد الاسلام ، فلا علينا أن نزوده بالصريح من الارشاد الذى رفضه الآباء فكان ما كان •• وعسى أن تحيا شريعة الله فى هذا الباب الحرج من أبوابها لله وفى الله •

ان الشباب الاسلامى يصحو ويتكاثر ، ويتواصى بالتكاثر ، ويتعاون على الالتزام ، ثم لا يجـد من جيل العفن والترف الحيوانى سوى السخرية والاستهزاء ، ولكن المستقبل الزاهر باذن الله لهذا الشباب •

بل أقول : ان الأمل معقود على الشباب الاسلامى فى مصر وحدها •• ففى كثير من بلاد الاســلام آشكال بلا مضمون للشباب الاســلامى •• أشكال من اللحية والسواك وترديد السنن ، وقلوب خاوية الا من الشهوات والأهواء •

ولكن فيضا من روح شــباب مصر قد انبلج فى بعض البلاد • ونرجو أن يكون رائد عمران وليس رائد تخريب •

عليه أن يستوعب الاسلام ، ويتآخى مع اخوة الاسلام ، ويتواصى معهم بالخير ، ويتعاون على البر ، وما الدعوة الى التخريب الا صرف له عن هدفه الذى أراد الله منه • وبعون الله سوف نخرج رسالة عن ظاهرة الشباب الاسلامى لشباب الاسلام ، لعل لهم منها منارا ، ومن ظلمات الكيد مخرجا •



السكن واللباس ·· والمودة والرحمة

قال الله تعالى : « **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ، ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون** » . (الروم : ٢١)

وقال مشيرا الى خفايا العلاقة الزوجية : « **أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم ، هن لباس لكم وأنتم لباس لهن** » . (البقرة : ١٨٧) والرفث يطلق على الجماع ، وعلى غيره من المعانى المتصلة به ، كالكلام المتبادل بين الزوجين فى موضوع العمل الجنسى . قال الأزهرى : الرفث : كلمة جامعة لكل ما يريد الرجل من المـــرأة .

قضية كونيـــــة :

أمامنا الآن قضية رئيسية هى : كيان بشرى واحــد ، انفصل منه كيان آخر ، فصار الواحد اثنان هما : الرجل والمرأة فى دنيا الانسان . والذكر والأنثى فى دنيا الحيوان ، والزوجان فى دنيا النبات ، والموجب والسالب فى دنيا الأفلاك وما تحويه من الأسرار ، ويجمع الكل من الوجهة الكونية كلمة « الأزواج » وهى أصل الآيات الالهية فى الكون .

« **سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون** » . (يس : ٣٦) .

« **وما خلق الذكر والأنثى** » . (الليل : ٣) .

« **ومن كل شىء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون** » .

(الذاريات : ٤٩) .

هكذا كل شيء فى الوجود ، من الذرة الى الفلك وما بينهما ، قائم على أصل واحد هو « الزوجية » .. رتق واحد انفتق الى اثنين .. والاثنان متحدان فى الجنس مختلفان فى النوع .. ولكل من الاثنين كيان مستقل ، ومقومات مستقلة .. فالانسان الواحد انفتق الى اثنين هما : الرجل ، والمرأة .. وهما الذكر والأنثى من بنى آدم .. وهكذا كل الحيوان والنبات والجماد .

وذكر الانسان وأنثاه متحدان فى الجنس ، وان اختلفا فى النوع والخصائص والتكوين .. وفيهما لا فى غيرهما آية الله التى لا تدرك الا بضرب عميق من التفكر الذى وجه الله اليه العباد فى الآية الأولى .

هناك آية كونية يشترك فيها الانسان والحيوان والجماد والنبات وكل ما برأ الله مما نعلم وما لا نعلم ، وهناك آيات شرعية هى التى لا تدرك الا بالفكر العميق ، والتدبر الشامل ، وهى خاصة بالانسان .

أما الآية الكونية فهى التى عبر عنها الله تعالى فى الآيات بقوله : « خلق » . وأما الآيات الشرعية فهى التى عبر عنها بقوله : « جعل » . والفرق بين الخلق والجعل : أن الخلق هو العمل الالهى الخالص الذى لا تتدخل فيه ولا فى تسخيره أى ارادة أخرى ، والجعل هو عمل الهى يمكن أن تتدخل فى تحقيقه لا فى ايجاده ارادة الانسان .. كما يمكن أن يضل الانسان الطريق فلا يستطيع أن يحققه كما أراد الله ، أو يستطيع ولكنه يرفض أن يحققه كما أراد الله .

فالله تعالى خلق للانسان من نفسه زوجة .. وهو خالق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفس البشر ، وهو خالق

الذكر والأنثى ، وصناعة الذكر والأنثى فى الانتاج ، أو الزوجين فى الانجاب والتكاثر ، كل ذلك من عمل الله تعالى وحده ، لا يشاركه فى الخلق ولا فى التسخير العضوى أحد ولا ارادة من أحد ، فهو « **يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور • أو يزوجهم ذكرانا واناثا ، ويجعل من يشاء عقيما** » •• (الشورى : ٤٩ ، ٥٠)

انما هى وظيفة كونية شأنها شأن الوظائف الكونية التى تقوم بها المسخرات الأخرى كالشمس والقمر والنجوم والرياح والليل والنهار ، لا يد لانسان عليها ، ولا ارادة لمخلوق فى تسخيرها ، وليس للانسان الا أن يتأمل فيها ليدرك وحدة الكون من خلال وحدة الخطة ، ووحدة الخلق •

هو قانون ثابت ، وسنة لا تتبدل ولا تتحول ، وتسخير كونى مترابط مشهود فى أبعد المسخرات فى الكون ، وفى أقربها من ادراك الانسان مثل تعاقب الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم ، وفى أخفاها على مداركه كالقوى الخفية المودعة فى الكائنات من الحرارة والرطوبة والخصوبة والعقم والجاذبية وما أشبهها •• فكلها تعمل ولا تستطيع التوقف ، ولا تستطيع أن تخالف سنة الله •• فلا الثقيل يستطيع أن يصعد ، ولا الخفيف يستطيع أن يهبط ، ولا الأرض تستطيع أن تكف عن الدوران ، ولا الأرض الخصبة تستطيع ألا تنبت ، ولا الحيوان يستطيع أن يقاوم غريزة الجنس ، ولا الانسان كذلك يستطيع أن يمحوها من كيانه •

هذا هو التسخير الكونى الذى تخضع به جميع الكائنات مطيعة لسنة ربها ، لا تستطيع عنها فكاكا ، ولا لها عصيانا •

وكل هذه المسخرات الكونية انما هى من أجل الانسان •• وفى كثير من آيات القرآن جاء ذلك صريحا بقوله تعالى : « سخر لكم » و « خلق لكم » •• فهذا الكون كله بما فيــه من أفلاك وحيوان ونبات وقوى ظاهرة وخفية انما هو من أجل الانسان •• ذلك الخليفة الذى زوده الله بالعقل والوجدان والقــدرة على البحث والاستقصاء والتفكر والتذكر والتدبر والاستنباط والفهم عن الله ، والجهاد من أجله •

بين التسخير والتكليف :

وهذه الآية الكونية طويلة المدى ، بعيدة السحق ، فلنعد من آفاقها البعيدة الى ما يمس موضوع بحثنا هذا منها وهو العلاقة الجنسية عند المسخرات وفى عالم التكليف ، وهو عالم الانســـان •

ولكى ندرك الأهمية العظمى للانسان ورسالته على وجه الأرض ، وكيف أن الله تعالى أراد منه أن يكون عمله محسوبا ودقيقا كل الدقة وبكل وسائل الحساب الشامل للعمل والنتيجة فعلينا أن نعلم أن الله سبحانه وتعالى حينما سخر الكائنات للانسان ، وخوله أن يتدخل بالعقل والعلم فى تنميتها وحسن استخدامها ، وأعجزه عن هذا التدخل فى بعضها ، وأنه سبحانه وتعالى بهذا التخطيط الحكيم أراد من الانسان أن يحافظ على هذا النظام البديع باقامة نظام بديع ودقيق لحياته شرعه له ، وطلب منه أن يرعاه ، ويحسن استخدامه للوصول الى نتيجتين :

أولاهما : أن يكون تدبر العقــل وتفكره فى نظام الكون وسيلة للايمان المطلق بمبدع الكون ، والعبــودية لجلاله وسلطانه ، ووســيلة لتنمية قــدرات العقل والفكر والتدبر فى الكون •

والثانية : أن يقيم مجتمعا محصنا ضد الكفر والنفاق ، وصالحا للدعوة الى الله والى سبيله على بصيرة من العلم والعقل والايمان .

وهذه الخطة ذات المقدمات والنتائج فى حياة الانسان لم تطالب بها المسخرات من الحيوان .. لأن هذه المسخرات انما خلقت لخدمة الانسان ، ويكفيها أن تكون عابدة لربها على طريق التسخير الكونى الذى سجله الله تعالى فى كتابه بقوله :

« ولله يسجد من فى السموات والأرض طوعا وكرها » .

(الرعد : ١٥)

فالكره للمسخرات والطوع والاختيار للانسان .

لهذا كان بقاء المسخرات من الحيوان خاضعا لاستخدام غريزة الجنس استخداما فوضويا لا يتقيد بقيد ، ولا يعوقه عائق ، ولا يتبعه تكليف ، ولا يهدف الى سكن ولا استقرار .. على العكس من الانسان الذى تعلقت غريزته الجنسية ببناء السكن والمودة والرحمة .

من هنا يمكن أن ندرك الفوارق بين الحيوان والانسان فيما يتصل بالارواء الجنسى ، تبعا لرسالة كل منهما فى الحياة :

١ ــ جميع الحيوانات العجماء والناطقة تنجذب ذكورها واناثها بعضهم الى بعض بدافع الرغبة الجنسية ، وشـــهوة اتحاد كل منهما بالآخر .. ولكن العجماوات أبيح لها حرية التفريغ الجنسى دون قيد ولا شرط على العكس من الانسان الذى أبيح لذكوره التفريغ الجنسى مع عدد من الاناث لا يتجاوز الأربع بشرط العدل ، وأبيح لاناثه التفريغ مع رجل واحد لا يتجاوزنه الى غيره الا بعد طلاقهن منه .

٢ ــ الرغبة الجنسية عند العجماوات موسمية موقوتة بطلب الأنثى للحمل اذا استثنينا الدجاج وصغار الطيور ، على العكس من الانسان الذى تحيا عنده الرغبة للممارسة فى أى وقت من الأوقات •• وهى عند العجماوات غير معوقة بقذر الأنثى ولا عفن الذكر ، بينما هى عند الانسان معوقة فى هاتين الحالتين ، حتى يوشك عندهما أن ينفلت من نطاق النظام الشرعى ويتمرد عليه بحثا عن أداء جنسى أفضل وأدخل فى باب الاشباع والارواء •

٣ ــ وجمال الأنثى النسبى وغير النسبى ليس شرطاً للأداء الجنسى الكامل عند الحيوان ، وهو أصل رئيسى يخضع للذوق عند الانسان •• وكذلك تدلل الأنثى ليس شرطا فى الأداء الجنسى الكامل اذا استثنينا الحمير والكلاب والحمام ، بينما هو شرط رئيسى كذلك عند الانسان •• فكل تلك صفات تميزت بها أنثى الانسان لهدف أسمى يتفق مع الأجهزة العقلية والنفسية والوجدانية وتفاعلاتها التى امتاز بها بنو آدم وحدهم •

السكن واللباس :

واذا كان الانسان من بين الكائنات هو المكلف بتنظيم العلاقة الجنسية بين ذكره وأنثاه ، وحمايتها من الفوضى ، حتى يصل الى قدر من النظام فى الحياة يتيح له العمل فى تحقيق رسالته على الأرض ــ فان هذا النظام اقتضى أن تنحصر غريزة الرجل وعواطفه فى امرأة واحدة هى الزوجة ، وأن تنحصر غريزة المرأة وعواطفها فى رجل واحد هو الزوج على الطريقة التى بينتها الشريعة فى عقد الزوجية •

ولما كان الانسان مجموعة من القوى والغرائز والعواطف والوجدانات لا تنتج عملها الصحيح كالبناء الا فى جو بعيد من الاضطراب والقلق المدمر ، وكانت غريزة الجنس هى مناط الاستقرار والثبات فى القوى العاملة الأخرى فى الانسان — كان من المحتم أن يؤدى التفريغ الجنسى الى هذا الاستقرار والثبات حتى تعمل الأجهزة الانسانية الأخرى فى قوة وعزم واصرار ودوام دون شيخوخة ولا خمول ولا اختلال •

والواقع الانسانى الذى يؤكده الطب وعلم النفس يؤكد هذه الحقيقة •• بعد الواقع الشرعى •• فالواقع الشرعى سجله الله تعالى فى قوله : « **لتسكنوا اليها** » • وقوله : « **هن لباس لكم وأنتم لباس لهن** » • والواقع الانسانى الذى يؤكده الطب هو : أن الكبت الجنسى أو الخلل فى الأداء يؤدى الى عدد من الأمراض النفسية والعقلية والخلقية ، كالقلق ، والاكتئاب ، والنورستانيا ، والفصام ، والشذوذ ، وكلها أمراض تدمر قدرة الانسان على العمل والتركيز الفكرى ، وقد تفقده الذاكرة ، أو تسبب له اضطرابا عقليا هو الجنون بعينه •• وأهون الشرور على هذا النوع من الناس رجلا كان أو امرأة هو أن يسقط من مكانة الانسان الى درك الحيوان •

وآية الله فى الانسان من دون الحيوان أنه سبحانه خلق كلا من الرجل والمرأة مضادا لصاحبه فى الخصائص ، ففى الرجل خشونة وغلظ وقوة وصلابة وكثافة ، وفى المرأة نعومة ورقة ولين وتكسر وبضاضة ولطافة ، الى آخر الصفات المشهودة للجميع •

ولأن الأنثى خلقت من ضلع الذكر فى الانسان كما قرر

الرسول صلى الله عليه وسلم تفسيرا لخلق الزوجة من نفس الرجل فى القرآن ، فقد أصبحت جزءا منه ، مخلوقا من نفسه ، وقد اقتضى هذا الانفصال حنينا دائما من كل منهما نحو الآخر ، وشوقا الى الاتحاد به اتحادا كليا يعود به سيرته الأولى ، بحيث لا يحس أحدهما بأنهما اثنان ، بل يتحدان فى شخص واحد ، وغيبوبة كاملة عن الثنائية فى قلب واحد ٠

هذا هو السكن المنشود من زوج وزوجة فى بيت الزوجية الشرعى ٠

وقد فطن ترجمان القرآن عبد الله بن عباس الى هذا المعنى فقال فيما أخرجه البيهقى فى الشعب ، وابن أبى حاتم الرازى : « خلقت المرأة من الرجل فجعلت نهمتها فى الرجل ، فأحبوا نساءكم ، وخلق الرجل من الأرض ، فجعلت نهمته فى المرأة وفى الأرض » ٠

وقد أضاف الامام ابن عباس عمقا جديدا فى المعنى حين قرر تعلق الرجل بالأرض مع تعلقه بالأنثى ، وفاء لما ألزمه الله به من القوامة على الأنثى ، واحتوائها ، وحمايتها من السقوط ٠

فالسكن من السكون ، والسكون ضد الاضطراب ، والاضطراب انما يكون فى الجسد والنفس والعاطفة والعقل ، والزوجية شرعت أساسا لسكون الكيان الانسانى من الاضطراب والهوس الاكتئابى الناشىء عن الحرمان أو النقص ، ولا يكون ذلك الا بالأداء الجنسى الكامل بين زوجين يحب كل منهما الآخر ٠

وقد يقول قائل : ما دامت المسألة قاصرة على التفريغ الجنسى ، فان السكون من الاضطراب قد يتحقق بأداء جنسى مع فاجرة عابرة ، أو مع خليلة دائمة .

ونقول : لقد فات قائل هذا القول أن يستوعب عناصر السكون والاستقرار . فالسكن الزوجى عبارة عن : تفريغ جنسى مقترن بالحب ، وشعور بالأمن وعدم الخوف ، ويقين بدوام اقامة الأنثى مع الرجـل فى كل حال وفى كل وقت ، واحساس بتسامى العواطف وبعدها عن الانتهازية والتزييف .

ولا يمكن أن تتحقق هذه العناصر مطلقا فى فاجرة عابرة أو فاجر عابر ، ولا فى خليلة دائمة أو خليل دائم .. فمهما كانت العلاقة الجنسية كاملة فى الحالات المؤقتة ، فان مجرد الشعور بأن كلا من الرجل والمرأة مفارق لصاحبه الى رجل آخر أو الى امرأة أخرى يصيب النفس بنوع كئيب من الردة عن سعادتها أو نوع قد يكون قاتلا من الغيرة أو الحقد يهدم كل ما جناه من سعادة آثمة .

والخليلة المقيمة والخليل المقيم لا يعطى أحدهما الآخر سكنا ولا استقرارا ، لأن تلك العلاقة مهما طالت فانها محفوفة بالخوف من المجتمع ، مهددة بفساد العلاقة وتحولها من المودة والرحمة الى الابتزاز والخداع واللؤم والنفعية ، وهذا وحده كفيل بهدم روح الاستقرار فى النفس ، مع عـدم الشـعور بوثاقة الرابطة بينهما ، لأن هذا النوع من الناس ذواق للمتعة لا يستقر على حال .

أما الزوجية الشرعية فان شـعور كل من الزوجـين بالارتباط الشرعى الى جانب الحب والأمل فى الأبناء وبنـاء

الأسرة كفيل بالسكون والأمــن والاستقرار فى كل حال من أحوال الحياة .. فالحياة الزوجية بحق هى الكفيلة بالارواء الكامل الذى يحقق التوازن الداخلى فى الانسان ، وهو المراد بالسكن .

أما اللباس فهو أشمل وأعم من العلاقة الجنسية فى ذاتها .

فالشوق الصارخ فى أعماق كل من الزوجين لصاحبه رغم أنه مدفوع بالشـــوق الجنسى ، فانه كذلك مدفوع بمثيرات الشوق الجنسى من كل من صفات الرجل والمرأة فى الجســـد والصوت وفى كل ما يفصح عن كمال الرجولة والأنوثة من السمات ، مما يجعل كل جارحة وكل احساس فى كل منهما عاشقا لمثله من صاحبه ، حتى يصلا الى قمة الاتحاد عند قمة الشهوة الجنسية .

وأى نقص فى هذا الأداء يماثله نقص فى الاتحاد بينهما . أى أن الاتحاد بينهما يستلزم الارواء العاطفى الكامـــل قبل الارواء الجسدى والجنسى . بل ان الارواء العاطفى يجب أن يكون ملازما للزوجين أثناء اللقاء وبعده ليتم الاتحاد كما أراد الله .. ومن هنا تبدأ رسالة الانسان السامية فى اجتهـــاده واعمال عقله لتحقيق وحـــدته ، والمحافظة على مجتمعه من عوارض الخلل الناشىء من اختلاف الميول والمدارك ، تقليـــدا للمسخرات التى انتظمت فى حركتها .

فشهوة الجنس وســـيلة الاتحاد والســـكن ، وشهوات الجوارح والعواطف وسائل دعم قوية لهذا السكن والاستقرار ، وهى ضرورية لكمال الاتحاد بينهما ، واسكات الشوق الصارخ فى الأعماق ، وايجاد حالة من التوافق صالحة لأن تكون منطلقا

أبناء مجتمع متوافق متوازن ، يستمد وحدته وتوافقه من هذه الوحدة والتوازن بين الزوجين فى المنطلق الأول وهو بيت الزوجية .

فاللباس شىء زائد عن العلاقة الجنسية فى ذاتها ، وهو أن يغمر كلا من الزوجين صاحبه بفيض من عواطفه ورغبته فى الاتحاد به .. وهو فى شعور كل من الزوجين بأنه أخضع الآخر لسلطان اغرائه .. فالرجل يشعر بسعادة غامرة حينما يشعر بأنه استطاع اخضاع المرأة واحتواء كبريائها من خلال اللقاء ، والمرأة تبلغ ذروة السعادة حينما تشعر هى الأخرى أنها أخضعت قوة الرجل وسلطانه لأنوثتها ، فأصبح فى دائرة احتوائها وقد حققت شخصيتها وكبريائها فى ذاتها ، وعوضتها عن قوامة الرجل عليها .. وليس هذا الشعور موجود عند الحيوان اذا استثنينا الحمير التى يحلو لأنثاها أن ترفس الحمار رفسات موجعة عقب اللقاء ، ويحلو لذكورها اصابة الأنثى اصابة دامية كذلك . وجميع الكلاب يحلو لأنثاها اذلال الذكر وتعريضه للمهانة عقب اللقاء فى مقابل اذلالها لمجموعة من الكلاب تتصارع عليها حتى يفوز بها واحد بعد ساعات طوال .

وقد أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أن اللباس شىء زائد عن اللقاء الجنسى فى حديث عبد الرزاق عن عثمان ابن مظعون أنه قال : يا رسول الله .. انى لأستحيى أن يرى أهلى عورتى . قال : « ولم وقد جعلك الله لهم لباسا ، وجعلهم لك لباسا » ؟ قال : أكره ذلك . قال : « فانهم يرونه منى ، وأراه منهم » .

فهنا تقرير : أن اللباس بين الزوجين عبارة عن مجموعة من الأعمال منها : نظر كل منهما الى عـــورة صاحبه ويؤيد ذلك أن لباس كل من الزوجين للآخر فى القرآن جاء عقب تشريع الرفث •• والرفث شىء زائد عن اللقاء الجنسى فى ذاته ، فهو شامل لكل ما يريد الرجل من زوجته من الكلام والأعمـــال المتصلة باللقاء •

أما ابن عباس فانه فسر اللباس بنهايته ، فقال فيما أخرج ابن جرير والحاكم والفريابى وابن أبى حاتم فى تفســـير اللباس : « هن سكن لكم وأنتم سكن لهن » •

وأخرج الطستى أن نافع بن الأزرق سأل ابن عباس عن معنى اللباس فى الآية فقال : « هن سكن لكم وأنتم سكن لهن ، تسكنون اليهن بالليل والنهار » • وهى متعة المؤانسة بالحديث والعواطف المتبادلة وارواء الجوارح والنفس • قال نافع : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت نابغة بنى زبيان يقـــول :

اذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت عليه فكانت لباســـة

فمعنى ابن عباس بمعنى اللباس بعيدا عن المؤانسة والنظر الى الالتصاق الجســـدى على حال من أحواله التى تذهبه باضطراب النفس ، وتمنحها السكون والاستقرار والحماية من غائلة الحرمان ، حتى ولو كان هذا الالتصاق بعيدا عن المباشرة الجنسية ، كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل مع أمهات المؤمنين فى حالة الحيض •

فاذا أضفنا أن الرسول صلى الله عليه وسلم حث أصحابه وأمته على ملاعبة زوجاتهم ومضـــاحكتهم وكلامهم فى أمور

العلاقة الجنسية قبل المباشرة ، ولم يجعله من اللهو المحرم ، ونهى عن أن يقع الرجل على امرأته كما تقع البهيمة ، علمنا أن اللباس المتبادل بين الزوجين هو ستر ما يحدث بينهما من أعمال قد يمقتها من نفسه ومن غيره فى غير حالة الخلوة الزوجية ، ولكنها أعمال تضفى على كليهما لباسا غامرا من النشوة السعيدة ، وتهيئة لمباشرة جنسية مستغرقة فى اتحاد بين قلبين وجسدين وروحين ، وهو السكن المنشود فى شريعة الاسلام .. وما تلك الأعمال فى ذاتها الا الرفث الذى أباحه الله لعباده وسنه الرسول لأمته ، ولكن المتنطعين الجهلاء يريدون أن يخربوا مجتمع المسلمين ، ويضربوه بالأمراض النفسية المستعصية ليقال : انهم أهل حياء ، وأهل ورع ، وأهل زهد فى شهوات النساء التى زينها الله لعباده ولم يحبوها من تلقاء أنفسهم .

ان المتنطع من متنطعينا اذا قيل له : ان قبلة الزوجة أمر مشروع فانه يقبلها كما يقبل رغيف العيش يرفعه من الطريق العام . قبلة باردة خاطفة لا حرارة فيها ولا روح ، يريد منا أن نعرفه بذلك فنذيع أنه رجل زاهد صاحب حياء ، وهو أبعد الناس من الحياء ومن الزهد جميعا ، لأنه راغب فى الشهرة والسمعة على حساب مجتمع الاسلام ودعوة الاسلام .

ان الارواء العاطفى هو اللباس بين الزوجين ، وهذا الارواء يكون على أى صورة تهفو اليها العاطفة ، فلا حرج على زوجين أبيح لهما مناط الشرف فى كل منهما أن يستمتعا بأجسادهما ويبث كل منهما أخاه عواطفه بالصورة التى يهواها .

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير التقبيل

لنسائه ، وقد روى الأحناف وصححوا أنه صلى الله عليه وسلم كان يقبل بعض نسائه ثم يقوم للصلاة ، كما ثبت أنه كان يمص لسان عائشة رضى الله عنها عند الامام ابن القيم • وأنه كان يضع فاه على موضع فم عائشة فيما تأكله من اللحم ، وكل ذلك يؤكد بالاضافة الى حديث عثمان بن مظعون وعدم نظره الى فرج امرأته ، والى شرعية الرفث لأن الزوجة لباس والزوج لباس أن اللباس هو لباس العاطفة يغمر كل من الزوجين بها صاحبه ، ويتخذ لتأجيج شعلتها كل الوسائل والأعمال التى تخطر بباله استمتاعا حلالا مباحا ينتهى الى أعظم عمل بناء فى الاسلام ألا وهو بناء مجتمع الجسد الواحد •

* * *

ونخلص من هذا كله الى نتيجتين :

الأولى : أن اللباس المتبادل بين الزوجين هو : مجموعة من التعبيرات العاطفية القولية والعملية ، ابتداء من الكلمة ، الى القبلة ، الى حرية النظر الى ما يحب كل منهما من الجسد ، الى التحسس ، الى الالتصاق الجسدى ، حتى المباشرة الجنسية •• ولا يتحقق اللباس شكلا ومضمونا الا اذا اقترن بهذه الأعمال تفريغ عاطفى متبادل بينهما ، بحيث يغمر كل منهما الآخر وكأنه يضفى عليه لباسا من العاطفة الغامرة ، يبدأها الزوج ، وتجاوبه الزوجة ، حتى ينتهيا الى غيبوبة الاتحاد بينهما فى قمة العلاقة الجنسية •• وهنا يكون كل منهما قد لبس صاحبه فى متعة غامرة •

وقد يكون اللباس العاطفى منفصلا عن اللباس الجنسى ، فهذا أمر سائغ مقبول ومحبوب لا سيما من النساء ، ولكن

المبغوض لأكثر النساء وبعض الرجال هو أن يكون هناك لباس جنسى بلا لباس عاطفى غامر وسابغ • فهـذا عمل تكرهه الكثيرات من النساء ، ويقبل عليه الكثير من الرجال •

وفى هذا الصنيع خطورة على الصحة العامة للزوجين ، وعلى سلامة العلاقة الزوجية من عوارض التحلل والانهيار •• فالكثيرات من النساء لا يرتوين بالعـلاقة الجنسية المنفصلة على الارواء العاطفى ، وكذلك بعض الرجال يكرهون البرود العاطفى فى الأنثى ، وحينئذ تفتقد العلاقة الزوجيـة لباس العاطفة ، و لا تكفى العلاقة الجنسية ، وهذا هو سر اكتئاب الزوجات أو الأزواج واضطراب تفكيرهم وحياتهم •• بل ربما بحث الساخط منهما عن شريك محرم يكمل ما نقص عنده ، وكما قلنا : لن يكون ارواء مستقر من أى علاقة محرمة •

وبعض الأزواج يسعدون بمـا يشتركون فيه من برود العواطف ، والاكتفاء بالعلاقة الجنسية العابرة ، وذلك لضعف فى وجدانهم وخيالهم وبنائهم العاطفى •

الثانية : أن نتيجة اللباس المتبادل بين الزوجـين اذا استوفى الشروط التى سنعرض لها فى الفصل التالى هى : سكون النفس والعقل والقلب والروح من كل الاضطرابات الجسدية والنفسية والعقلية الناشـئة عن الحرمان ، وتفريغ جميع العقـد النفسية الناشئة عن الكبت ، وتوازن العواطف مع العقل بحيث لا يطغى أحدهما على الآخر ، ومن ثم يتوازن الانسان فى فكره فلا تحركه العواطف ، وتتوازن عواطفه فلا يجمدها العقل المجرد •

أى ان الانسان المسلم فى هذه الحالة يصبح انسانا بريئا من جمود العقل وهو العاطفة •• ويصبح تفكيره ممزوجا بقدر مناسب من العاطفة يخرجه من دائرة التنطع والتجمد ، كما تصبح عواطفه ممزوجة بقدر من العقل يخرجها عن دائرة الاندفاع الأهوج •

ومما تجدر الاشارة اليه أن كمال الارواء العاطفى والجنسى انما هو فى شعور الزوجة برجولة زوجها ، وشعور الزوج بأنوثة زوجته ، فاذا اهتزت رجولة الزوج فلا لباس ولا ارواء ، ولا يسمى مثل هذا الرجل زوجا عند النساء ، بل يسمى حمارا يركب •

وقد أورد الزبيدى فى « اتحاف السادة المتقين » أن نساء العرب كن يعلمن بناتهن اختبار الأزواج • كانت الأم تقول لابنتها : اختبرى زوجك قبل الاقدام والجراءة عليه • انزعى زج رمحه (أى سنانه) فان سكت فقطعى اللحم على ترسه ، فان سكت فكسرى العظام بسيفه ، فان سكت فاجعلى الاكاف (البردعة) على ظهره وامتطيه ، فانما هو حمارك لا زوجك •

ومن هنا كانت وصية عمر رضى الله عنه للرجال جامعة بين حسن الخلق ولين العشرة والاحتفاظ بكمال الرجولة اذ يقول : « ينبغى للرجل أن يكون فى أهله مثل الصبى ، فاذا التمسوا ما عنده وجدوه رجلا » •

والمودة والرحمة :

المودة والرحمة بين الزوجين نتيجة حتمية للباس العاطفى المتبادل بين الزوجين ، ولسكون كل منهما للآخر •• فهما

عاطفتان مخلوقتان وليستا مسخرتين للانسان تسخيرا كونيا ، بحيث يتحتم أن تكون المودة والرحمة ملازمتين لكل زوجين •• بل ان الزوجين منهما من يستطيع تفجيرها بينهما ، ومنهما من يعجز فيعتبرهما داخل التنطع ، أو داخل الجهل ، أو داخل التقاليد البالية البعيدة عن تشريع الاسلام ، أو تحت أستار كثيفة من العناد •

ويخطىء العاجزون حين يحاول أحدهما ابتزاز المودة والرحمة من أخيه بالاستطالة عليه ، والمعاندة له ، والبذاءة وسوء الأدب ، متجاهلا خطأه الذى جعل أرض الزوجية بينهما غير صالحة لانبات المودة والرحمة •• وتلك خلة من خلال السوء شائعة بين الأزواج على اختلاف مستوياتهم •• ولو أن العاجز العنيد من الزوجين استطاع أن ينظم كل ما أبيح له عمله ، ويصر على استعماله ، لوجد المودة والرحمة نباتا طبيعيا ينمو ويترعرع كلما أرواه بتجديد العواطف وانمائها •

ولعلنا نتذكر وصف الله تعالى لمجتمع المؤمنين فى القرآن بقوله « **رحمـاء بينهم** » (الفتح : ٢٩) • ونتذكر وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم لجماعتهم بقوله : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد •• » • ثم نقارن هذه الصفات المنشودة فى مجتمع المؤمنين بقوله تعالى بيانا لآياته ودلائل عظمته فى خلق الأزواج من نفس واحـدة : «**وجعل بينكم مودة ورحمة**» (الروم : ٢١) • ومن هذه المقارنة ندرك أن المنبت الأول للمودة والرحمة المنشودين لمجتمع الجسد الواحد انما هو بين الزوجين فى بيت الزوجية ، وأنهما ملازمان للسكن واللباس بين الزوجين ، والتوحيد بينهما ، وأنهما ينطلقان من بينهما الى من حولهما من الأبناء ، ويشعان عليهما ، حتى

يشملا المجتمع كله ويصلا به الى حالة من التعاون والترابط تشبه ما بين المسخرات الكونية من التجاذب ووحدة النظام ، وقوة التماسك .

وهكذا يرتبط الانسان بالكون كله ، ويصبح صورة مصغرة له يمكن أن يجعلها كتابا مختصرا يغنيه عن كتاب الكون الهائل « **سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق** » . (فصلت : ٥٣) .

وقد فسر الحسن البصرى المودة بالجماع ، وفسر الرحمة بالولد .. والحق أنه اتجه فى تفسيرهما الى التفسير بالسبب . فلا شىء ينبت المودة فى القلب ويرعاها بالنماء قدر ما تنبتها العلاقة الجنسية الجامعة بين ارواء الغريزة وارواء العاطفة .. ولا شىء ينشىء أصل الرحمة وجذورها فى القلب قدر ما ينشئها الولد .

ولهذا يمكن أن تبقى المودة والرحمة فى القلوب اذا فقد الزوجان أو أحدهما بعض الصفات اللازمة لارواء العواطف والغرائز أو كلها ما دام الولد بينهما ، لأنه معين فياض من المودة والرحمة يغزو القلوب من خارجها فتفيض هى الأخرى عليه وعلى البيت ، وان كان ما يزال هناك فراغ فى نفس كل من الزوجين .

معوقات المودة والرحمة :

أما المعوقات المؤقتة فقد ذكرنا واحدة منها ، ونضيف اليها : اعوجاج المرأة فى معاملتها لزوجها أو الزوج مع زوجته ، وكثرة الشجار بينهما بعد صلاح واستقامة .. وهنـا يكون

الصبر الجميل ، والسياسة الحكيمة عاملا من عوامل العودة الى السعادة والهدوء •

أما المعوقات الدائمة فقد حددها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله : « اياكم وخضراء الدمن • قيل : ما خضراء الدمن يا رسول الله ؟ قال : المرأة الحسناء فى المنبت السوء » •

وقال لقمان لابنه : « اتق المرأة السوء ، فانها تشيبك قبل المشيب » •

وذلك أن المرأة الحسناء التى نبتت فى منبت سوء هى التى عاشت فى مناخ فاسد ، وبيئة فاقدة للشرف والمثل الخلقية ، وقد تكون شديدة الاستهواء لزوجها بما تتقنه من فنون الاغراء والاغواء ، ويجعلها لباسا غامرا من الامتاع ، ولكنها ما تلبث أن تمزق هذا اللباس حينما تعتبر ما تقدمه لزوجها من ارواء عاطفى وجنسى سلعة متقومة بمقابل لابد أن يبذله الزوج من ماله لها أو لمن حولها من أهلها الذين يعيشون على نتائج غوايتها ، فان لم يجد فليبذل من كرامته بالاغضاء عن حركتها خارج البيت •

وقد لا تكون هكذا ولكنها هاوية للتبديل وتذوق صنوف الرجال ، زائغة العين بين مظاهر الرجولة وألوانها ، فتكون لباسا جميلا ولكنه ممزق لا يستر ما تحته •

ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن (يريد بذلك الحسناء المجردة من الدين) ولا تزوجوا النساء لأموالهن

فعسى أموالهن أن تطغيهن (والمراد الغنية بلا دين) ولكن تزوجوا على الدين » • أى اعتبروا الدين أولا ثم اجمعوا اليه أى صفة شئتم •

فالبيئة المتدينة تصـون الجمال فى بناتها من الردى ، وتصون نفوسهن من طغيان المـال ، وتضعهن فى الموضع الرفيع من الخلق الرفيع ، والعفاف المقيم •

أما خضراء الدمن التى حذر منها رسول الله صلى الله عليه وسلم فانها شديدة السخرية بالدين ، لا تقيم وزنا لخلق ، ولا حرمة لعرض •• لا تتوسم فى زوجها حبا لها وميلا اليها الا استغلته أسوأ استغلال باطلاق يدها فى ماله على هواها ، أو اطلاق حريتها فى نفسها كما تريد ، فتتسلط عليه ، وتقيم من نفسها قيما على تصرفاته ، والا حرمته الارواء بكل أشـكاله ، بل وربما امتنعت من تسليم نفسها ونشزت عن شريعة الله •

وهنـا يفقد الرجل معنوياته ، وتخمـل مواهبه ، وقد يستسلم للعـار ان استعبدته غوايتها ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله : « اياكم وخضراء الدمن » •

* * *

مقومات النجاح الجنسى

أولا : الزوجات

تمهيـــــد :

يميل النساء الى التمرد بحكم العوج فى أصـــل خلقتهن من ضلع أعوج ، كما قرر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم •

ويتخذ هذا التمرد صورا مختلفة كلها تعاكس النظــام المنشود بين مجتمع البشر الذى هدف اليه الاسلام :

منهــا : التمرد على الحجاب ، تحت تأثير الدعــوات المسمومة التى تنادى بتحرير المرأة ومساواتها بالرجل •• وقد جهل النساء أنه لا يوجد قانون ولا تشريع احترم المرأة قدر ما احترمتها شريعة الاسلام •

فالاسلام قد احترم مشاعر المرأة حينما فرض عليها الحجاب ، وذلك لئلا تمتد عيون الرجال وتتحرك عواطفهم نحو الفتنة المعروضة والمبذولة فى الطرقات ، مما يعمل على فتور جذوة الحب والمودة فى قلب أى زوج نحو زوجته ، فلا شىء يهدد حب الزوج لزوجته قدر ما يهدده امتداد عينيه الى ألوان من الفتنة وألوان من الجمال معروضة للناظرين ، ولا شىء يقصر حب الزوج على زوجته وحدها قدر ما يقصره حبس عينيه عن مفاتن كل أنثى غيرها ، وهو ما هدف اليه الاسلام من ضرب الحجاب على كل ما هو مثير فى تكوين المرأة ، حتى الصوت الرخيم • قال الله تعالى فى حجبه عن الآذان :

« ... ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض » . (الأحزاب : ٣٢)

وقال صلى الله عليه وسلم : « النظرة سهم من سهام ابليس » .

ولقد عالج رسول الله صلى الله عليه وسلم الحالات الشاذة التى تقع فيها العين على فتنة نسائية محرمة فقال فيما أخرجه مسلم :

« من نظر الى امرأة فى الطريق فتاقت نفسه اليها ، فليذهب الى زوجته ، وليقض حاجته ، فان البضع واحد » . وهذا علاج سريع يحد من الاندفاع الأهوج نحو الحرام .

ومنها : التمرد على الوظيفة الفطرية التى خلقت من أجلها ، والتحول عنها الى أعمال ليست ملائمة لطبيعتها ، ولا هى مؤهلة للنجاح فيها ، وتلك الوظيفة هى : رعاية عاطفتى المودة والرحمة فى البيت ، وغرسهما وتنميتهما فى قلوب الأبناء ، وتدريبهم على معالى الأخلاق ، وحمايتهم من دنيئها ، واسباغ البهجة والسرور والمرح على البيت ومن فيه ، وامدادهم بطاقة العمل الجاد ، وحمايتهم من الخمول وذبول المواهب التى تذبل سريعا فى بيئة الشجار والعداء والتنافر ، وتبلغ قمة الازدهار والابتكار فى بيئة الوئام والسرور والتراحم .

فالمودة والرحمة كما قلنا ونقول : هما الدعامتان الأساسيتان اللتان يقوم عليهما بناء مجتمع الاسلام ، مجتمع الجسد الواحد .. وهما الرباط الوثيق الذى يشد بناء المجتمع بعضه الى بعض بالحب والألفة والقوة التى لا تقهر .. وليس هناك

نبع فياض بالمودة والرحمة مثل المرأة بحكم تكوينها وفطرتها التى فطرها الله عليها •

واذا كان فى الرجال من يفيض على غيره بالمودة والرحمة فانما صاحب الفضل عليه فى هذا الخلق العظيم امرأة هى أمه •• واذا كان فى الرجال من يفيض غلظة وقسوة وفظاظة فانما سبب هذه النكسة فى خلقه امرأة متمردة هى أمه ، التى تركت مكانها من البيت ، وخرجت الى غير مكانها من المجتمع •

واذا كانت هناك قسوة تصيبك أيتها الأخت المسلمة ، أو تصيب أبناءك ، أو تصيب اخوتك فى الاسلام فى مجتمع الاسلام ، فانما سببها هو أنت التى احتقرت وظيفتك العظمى ، وغشك الأعداء بالدعاية المسمومة لبدعة التحرر والمساواة •

واذا علمت أيتها الأخت كم من الملايين تنفق ، وكم من الجهود المضنية تبذل فى سبيل مقاومة آثار القسوة فى المجتمع لعرفت أنك تستطيعين توفير هذه الملايين ، وتلك الجهود بعودتك الى وظيفتك التى فصلت نفسك منها ، جهلا بقيمتها •

ولو عدت الى وظيفتك العظمى لاختصرت طريق المسيرة الاسلامية نحو المجد عشرات السنين ، ولعادت الملايين الضائعة بالرخاء عليك وعلى مجتمعك •

واحتجاج النساء بأن لزوم البيت يحرم المجتمع من جهود نصفه الآخر ، ويحد من حرية المرأة باطل ومردود •• بل ان هجرها للبيت هو الذى حرم المجتمع من جهود نصفه الآخر التى لا يستطيعها غيره •• وهو الذى حد من حريتها فى الانفراد بزوجها ، وعرضها لأسوأ ما عرفته البشرية من خلائق السوء والفجور ألا وهو الخيانة فى العرض •

ومنهـــا : التمرد الناشىء من عقد النفس ، وهذا النوع موجه نحو شريك الحياة وهو الزوج •• والحق أنه انعكاس لمــا يتجاوب فى نفسها من الاضطرابات النفسية الناشئة من عوامل بعيدة وقريبة تتضافر كلها فى خلق عقدة هى فى الواقع بؤرة عفنة فى محيط الزوجية •• ولقد تكلفت الشريعة الاسلامية بتزويد الأزواج بالوصايا العاصمة من هذه العقد اذا أحسن فهمها ، وصدقت النية فى الوصول الى الدرجة المثلى من الصلاح والهدوء النفسى •

وجميع التعاليم الشرعية فى العلاقات الزوجية تهدف الى اعداد كل من الزوجين ليكون لباسا غامرا من المتعة لصاحبه ، ومن ثم يكون سكنا هادئا من الاضطراب المدمر ، وملاذا أمينا يمد صاحبه بأقدر الطاقات على العمل والابداع •• والزوجة هى الكفيلة بالبداية الطيبة التى تتبعها المبادرات الأكمل والأجمل من قبل الزوج •

الزوجة كما تريدها الشريعة :

أولا : أن تكون مصدر سرور • وقد أخرج النســائى عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل : أى النساء خير ؟ فقال : « التى تسره اذا نظر ••• » قال الامام الغزالى : انما يسر بالنظر اليها اذا كانت محبة للزوج •

ونقول : ان هذا هو الأصل ، ولكن ثقة الزوجة فى حبها لزوجها ، وحب زوجها لها قد لا تكون مبعث سرور • اذ أنها ما تلبث أن تعتمد على هذا الحب ، فتهمل مظهرها ، أو تشتد غيرتها • أو تكثر من العتب عليه وحسابه على الكلمة العابرة ،

أو تثقله بمطالبها ليقيم الدليل على حبه لها •• وهنـــا تكون الكارثة ، وتكون الزوجة مصدر آلام ، ومن ثم ينتهى الحال الى الكراهية والنفور •

انها تضفى الكآبة على الوجه الجميل ، والقبح على القوام الرشيق ، فتحيلهما الى مسخ ومصدر للهم القاتل ، والغم المقيم•

وقد أوصى عبد الله بن جعفر ابنته فقال : « اياك والغيرة ، فانها مفتـــاح الطلاق ، واياك وكثرة العتب ، فانه يورث البغضـــاء » •

والحب عاطفة سامية لا يصبر صاحبها على فراق محبوبه ، ولا يرضى به بدلا ، كما أنه عاطفة لا تدخل فى نطاق المساومة على قيمتها المـــادية التى يبذلها الزوج لزوجته المحبوبة ، فهذا الصنيع صـــنيع الساقطات اللاتى يبعـــن العواطف والقـــلوب والساعات والليالى ، ويحببن الزوج لمـــاله ، فاذا قل ماله انقلبن عليه •

انمـــا الحب تضحية بالمطالب الشخصية اذا لم تتيسر الزوج ، واستكثار للقليل الذى يستطيعه ، ولكنه اذا كان كثير المـــال فعليه أن يسعد زوجته ما وسعه الاسعاد • أما أن ترهق الزوجة زوجها بما لا يستطيع ، أو يبخل الزوج على زوجته بما يستطيع ، فكلاهما جريمة فى حق البيت المسلم •

ويغلب أن تنشأ عقدة النفس من عدم الاشباع الجنسى ، وفيما عدا ذلك تنشأ من السخط على الحياة اذا كان فيها بعض الضيق نتيجة لنظر الزوجة الى مثيلاتها ممن وسع الله عليها فى الرزق ، وهذا هو الوبال فى الدين والدنيا جميعا •

وبال فى الدين لأن الله تعالى حينما قال : **« أن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله »** (النور : ٣٢) . لم يكن ليغنيهم دون عمل من الزوجين ..وانما يغنيهم اذا هيأت الزوجة لزوجها فرصة الابداع فى العمل بدفع موجات متلاحقة من السرور الى قلبه ، تدفعه الى الحرص على مواصلة العمل .. أما أن تدفع الى قلبه موجات الكآبة والسخط فهذا باب الفقر المقيم الذى صنعته الزوجة بيدها ، وأرادت ثراء واسعا ، وهذا هو الوبال فى الدنيا . وصدق الله وكذب الانسان حين قال تعالى: **«ومن يتق الله يجعل له مخرجا . ويرزقه من حيث لا يحتسب»**. (الطلاق : ٢ ، ٣).

وهذه مشكلة قديمة الوجود . فالامام السيوطى يذكر فى كتابه « الايضاح فى علم النكاح — ورقة ٥ » : أن الفقهاء أكثروا من نصح النساء باستكمال زينتهن داخل المنازل ، وذلك بتسريح الشـــعر وتزيينه ، والتطيب بالطيب أمام الزوج حتى يطيب قلبه .. كما ذكر الامام ابن الحاج فى كتابه « المدخل ص ٢٤٤ ، ٢٤٥ » أن الفقهاء أخذوا على النساء عنايتهن بالزينة عند الخروج من المنزل ، واهمال زينتهن أمام الأزواج .

والسرور يشع من كيان الزوجة على الزوج عند الابتسامة العذبة ، وعند عنايتها بمظهرها فى ملبسها ونظافتها وزينتها ، وتجديد شكل ملابسها ، وتشكيل شـــعرها ، ولين حديثها ، وجمال مرحها ، مما يشكل حافزا للزوج على العودة الى زوجته سريعا بعد الانتهاء من عمله .

والسرور النابع من الزوجة من أعظم البواعث للزوج على مضاعفة عمله لاســـعاد زوجته ، وبذل الوســـع لاستبقاء

سرورها حيا ونابضا فى نفسها دون أن يمل أو يشعر بأدنى تعب . كما أنه الباعث الأول على الاقبال عليها بفيض غامر من عواطفه تعبيرا عن سروره بها ، وحبه لها ، ولكن العجيب والمستحيل هو أن تهمل الزوجة زينتها ، وتصبغ وجهها بفيض من الكآبة ، وتشحن لشانها بسيل من البذاءة ، ثم تطالب زوجها بالسرور بها ، والتعبير عن حبه لها . بل ان هذه الزوجة كفيلة بأن تقضى على عواطفه قضاء مبرما .

ثانيـــا : أن تكون مطيعة لزوجها ، ففى حديث أبى هريرة السابق يقول الرسول : « ... وتطيعه اذا أمر » . وفى حديث أحمد : « ... ولو أمرها أن تنتقل من جبل أصفر الى جبل أسود لكان ينبغى لها أن تفعل » .

وهذه الطاعة هى مقتضى قوله تعالى : « **الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أمـــوالهم** » (النساء : ٣٤) . وقال تعـــالى : « **وللرجال عليهن درجـــة** » (البقرة : ٢٢٨) . ولأهمية هذا الأدب الاسلامى فى نجاح الحياة الزوجية فقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم المرأة على طاعة زوجها طاعة مقرونة بأعظم درجات الاحترام فقال فى رواية الترمذى : « لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها » .

وحذر الزوجات من سخط الأزواج عليهن لعدم طاعتهن ، فعدهن ممن لا تقبل لهم صلاة ، ولا تصعد لهم حسنة ، فقال فيما أخرج البيهقى عن جابر : « ثلاثة لا تقبل لهم صلاة ، ولا تصـــعد لهم حسنة : العبد الآبق حتى يرجع ، والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى ، والسكران حتى يصحو » .

وأفظع أنواع العصيان : أن ترفض دعوته لها الى الفراش • وقد أخرج الترمذى عن طلق بن على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اذا دعا الرجل امرأته لحاجته فلتأته وان كانت على التنور » • وفى رواية : « وان كانت على ظهر قتب » أى : وان كانت راكبة وجب عليها أن تنزل اليه • وتوعد العاصية فى هذه الحالة بأشد الوعيد فقال فيما أخرج الشيخان عن أبى هريرة : « اذا دعا الرجل زوجته الى فراشه فأبت ، فبات غضبان ، لعنتها الملائكة حتى تصبح » •

ووعد الزوجة المطيعة بأعظم الجزاء فقال فيما أخرج الامام أحمد : « اذا صلت المرأة خمسها ، وصامت شهرها ، وحفظت فرجها ، وأطاعت زوجها ، قيل لها : ادخلى الجنة من أى أبواب الجنة شئت » • وقال : « أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة ، وأكثر ما يدخل المرأة النار عصيانها لزوجها ، وكفرانها احسانه » •

وربط رسول الله صلى الله عليه وسلم طاعة الزوجة لزوجها برضا ربها فقال فيما أخرج ابن ماجه وأحمد : « والذى نفس محمد بيده لا تؤدى المرأة حق ربها حتى تؤدى حق زوجها ، واذا سألها نفسها وهى على قتب (أى رحل) لم تمنعه نفسها » •

وكان صلى الله عليه وسلم يتفقد هذا الخلق فى النساء ، ويبادرهن بالسؤال عنه • وقد أخرج الحاكم والطبرانى وابن أبى شيبة عن حصين بن محصن قال : حدثتنى عمتى قالت : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض الحاجة ، فقال : « أى هذه ، أذات بعل ؟ قلت : نعم • قال : كيف أنت

له ؟ قالت : ما آلو (أى لا أقصر) الا ما عجزت عنه . قال : فانظرى أين أنت منه ، فانما هو جنتك ونارك » .

حتى طاعة الله بالنوافل لا تجوز للمرأة الا باذن الزوج . فقد أخرج البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تصم المرأة وزوجها شاهد الا باذنه » والمراد صوم النافلة .

ما سر هذه العناية الفائقة بطاعة الزوجة لزوجها ؟

أهو استبداد الرجل بالمرأة فى شريعة الاسلام ؟

أم هى عبقرية خلاقة فى المرأة أراد الاسلام كبتها لئلا تتفوق فيها على الرجل ؟

أما أنه استبداد الرجل بالمرأة فى شريعة الاسلام فهو قول ساقط ردده أنصار الفوضوية ، وأعداء النظام .. انه قول تسقطه شريعة الاسلام حينما يقف الرجل مسئولا أمام المرأة عن حقوقها المالية والأدبية وتسقطه وصايا رسول الله صلى الله عليه وسلم الملزمة للرجل أن يحترم انسانيتها ، ويشاركها الطعام والمسكن ، والناهية عن ايذائها .. كما تسقطه وصايا القرآن الكريم بالمكروهات منهن حين يقول : « **فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا** » . (النساء : ١٩) وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا يفرك (يبغض) مؤمن مؤمنة ، ان سخط منها خلقا رضى منها خلقا آخر » .

وأما أنها عبقرية خلاقة فى المرأة فنعم ، وأما أن الاسلام أراد كبتها فلا ، لأنه أطلق لها حرية العمل فى مجال عبقريتها ، وهو : اشاعة المودة والرحمة والسرور فى البيت ، ودعم خلائق

الاسلام فى قلوب الأبناء ، لأنها بالفعل متفوقة على الرجل فى هذا المضمار ، لطول صبرها ، وملازمتها للأبناء ، وملاءمة تكوينها لهذا العمل .

وانما يصرفها عن هدفها هـذا ، ويحرمها من عبقريتها هذه : التمرد ، والخروج على الطاعة ، والعمل فى غير عملها ، تماما كما نحرث الأرض بابرة الخياط ، فلا ثوبا لبسنا ، ولا أرضا زرعنا .

فالقرآن الكريم علل قوامة الرجل على المرأة بأمرين :

أولهما : فضل بعضهم على بعض .

وثانيهما : مسئولية الرجل عن الانفاق .

ولم يحدد القرآن الكريم : من الفاضل ومن المفضول ، وعدم التحديد معناه أن فى كل منهما فضلا لا يوجد فى الآخر . أى أن القرآن الكريم يكشف عن الخصائص الفاضلة فى كل منهما ، بحيث لا يستطيع أحدهما أن يقوم مكان الآخر فيما فضره الله عليه من وظائف الحياة .

فالانفاق فضل فى الرجل لا تستطيعه المرأة ، لأن تعريضها لفوضى الأسواق ، وزحمة الحياة للحصـول على المـال فيه اهدار لأنوثتها أولا ، واحتمال لامتهان عرضها ثانيا ، والفساد فى كلا الحالين لا يخفى على لبيب .

واهدار الأنوثة يحرم الرجل من متعته بنصفه الآخـر ، كما يحرمها من أعز ما تعتز به فى دنياها ، اذ لا جمال ولا رغبة فى أنثى أهدرت أنوثتها واقتربت من الرجولة فى خصائصها .. وشهود لذلك الواقع فى النساء العاملات بالأسـواق ، وفى الأعمال التى تحتاج الى جهد جسدى وعقلى كبير ، اذ ما يلبثن

أن يفقدن رغبة الرجال فيهن فقدانا يكاد يكون كاملا .. كما أن امتهان عرضها يحرمها من لذة قصرها على واحد ، ويجعلها مباحة لكل من يريدها بحافز آخر غير حافز المودة والرحمة ، هو : الحافز المـادى باعتبارها سلعة معروضة فى السـوق لمن يدفع ويزايد ، وهى بدورها تصاب بالسعار المـالى فتبالغ فى التهتك والفجور وعرى الوجه لتصل الى مناها .

وهنا تفقد المـرأة القدرة على اشاعة المودة والرحمة فى البيت ، وعلى غرس مكارم الأخلاق فى قلوب الأبناء ، ومن أين لمن باعت عرضها وشرفها أن تميز بين المكارم والدناءات ؟

والقدرة على اشاعة المودة والرحمة ، والصبر على متاعب الصغار وتنشئتهم على ما يريد الله ورسوله فضل تملكه المرأة ولا يملكه الرجل . اذ أن تكوين المرأة نفسه يغـرى الصغار بالحنين الى صدورهن ، والسكون الى حنانهن ، وهى الجرعات الأولى التى يقوم عليها بناء الطفل الوجدانى مع جرعات اللبن التى يقوم عليها بناؤه الجسمانى تماما ، وليس فى الرجل من ذلك الا القليل مما يغرى الطفل بالسكون اليه ، اللهم الا اذا شب على الطوق وسكن اليه بتأثير ما يتحفه به من الطرف المحبوبة اليه .

فالأمر بطاعة الزوجة لزوجها يحفظ فضلها على الرجل ، وتمردها على الطاعة يجردها من هذا الفضل ، ولا يلحقهـا بفضل آخر ، وانما يضعها فى منزلة لا فضل فيها ، ولا أمل فيها لفضل يمكن أن تلحقه ، نتيجة لتمردها على فطرتها .

فتمرد المرأة على فطرتها كما رأينا يفقدها العنصر الجاذب للرجل نحوها جنسيا فى غمرة من السكن واللباس العاطفى

الشامل ، وانما يكون جذبها للرجل حينئذ آليا ومؤقتا لا متسع فيه لاستيعاب العواطف والمشاعر أخذا وعطاء بينهما كما أرادت فطرة الاسلام من فطرة الذكر والأنثى .

وشعور الرجل بأن المرأة قد تعدت مكانها ، وتمردت على طبيعتها يحد من اندفاعه بكل عواطفه نحوها ، وشعورها بهذا الفتور نحوها يحد من استغراقها المنشود فى أعماق عواطفه .. وتلك أولى البلايا ونهايتها فى تحطيم العلاقة الجنسية بين الزوجين .

والحقيقة التى قد تغيب عن الكثيرين من الرجال ، ويعترف بها المتمردات من النساء ، هى : أن تمرد المرأة على الطاعة انما هو فى الغالب نتيجة لعدم الحزم من الرجل ، ولاندفاعه أحيانا فى خط واحد هو الاستجابة لعاطفة الحب وحدها وما تمليه من الخضوع لرغبات المحبوب ، دون مراعاة للجانب الآخر من التكوين النفسى للأنثى ، وهو الرغبة العارمة فى الشعور بالسيطرة والسلطان الى جانب الشعور بجاذبية الحب .

فاذا كان الرجل يحب الأنوثة والجمال الخاضع ، فالمرأة كذلك تحب الرجولة الحانية الآمرة .. وتحرص على هذا اللون من الرجولة ، وتخشى اهتزازها تحت تأثير اغرائها .

وهذا هو السر فى أن نساء العرب قديما كن يعلمن بناتهن اختيار الأزواج فى هذه الناحية على الوجه الذى ذكرناه فى الفصل السابق .

وهكذا يبدأ الخطأ بتجربة بسيطة يغضى عنها الزوج ، وتتكرر التجربة ، ولا تجد الزوجة فى الرجل ما يشبع طبيعتها ،

فتتمرد ، ويستفحل الخطر ، حتى يصبح ردها الى طبيعتها شاقا عسيرا الا بتجربة الطلاق الرجعى •

وهذا هو السر فى كثير من الحالات التى تلجأ فيها المرأة الى اتخاذ خليل ليس فى منزلة زوجها المالية ولا الاجتماعية ، ولكنه يروى طبيعتها المحبة للسيطرة والسلطان •

ثالثا : أن تكون أمينة على ماله وعرضه • وهو العنصر الثالث فى الحديث المتقدم : « ••• ولا تخالفه فى نفسها وماله بما يكره » • وفيما روى ابن عباس عند الامام أحمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أربع من أعطيهن فقد أعطى خير الدنيا والآخرة : قلب شاكر ، ولسان ذاكر ، وبدن على البلاء صابر ، وزوجة لا تبغيه خونا فى نفسها ولا فى ماله » •

والمتأمل فى حديث أبى هريرة هذا يدرك مدى الحكمة البليغة فى وعى رسول الله صلى الله عليه وسلم للحركة النفسية للمرأة •• فهى بحكم الغرور الذى ركب فى طبعها اذا رأت نفسها مصدر سرور ومرح لزوجها ، وأيقنت من شدة اقباله عليها وحبه لها ربما تدللت عليه بعصيان أوامره ، لاثبات شخصيتها الآمرة فى مواجهته •• فاذا تجاوز الرجل لها عن الأوامر التى ترضى غرورها ، فلتحذر أن تتجاوز قدرها وحجمها فتنتهك حرمة البيت وقداسة الشرف ، أو تعبث بالمالية المنزلية على هواها وبارادتها المتفردة دون علم زوجها ، لأنها حينئذ لا تعتدى على زوجها ، وانما تعتدى على مجتمع الاسلام كله •

وأخطر هذين وأشدهما استعصاء على الحل هو خيانة

العرض • ولهذا كانت أوامر رسول الله صلى الله عليه وسلم موجهة الى الرجال مع النســاء : ألا يكونوا عاملا مساعدا على انتهاك حرمات البيوت ، لأنه فســاد على مستوى العالم الاسلامى كله •

وقد أخرج الترمذى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى خطبة الوداع : « •• فأما حقكم على نسائكم فلا يوطئن فرشكم من تكرهون ، ولا يأذن فى بيوتكم لمن تكرهون » •

ثم وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثه الى الرجال فى تحذير قاطع ألا يشاركوا النساء الراغبات فى هدم الحياة الزوجية مسلكهن القبيح فقال فيما أخرج البخارى : « لا يخلون رجل بامرأة الا مع ذى محرم » •

وفى البخارى أيضا : « اياكم والدخول على النساء • فقال رجل من الأنصار : يا رسول الله •• أرأيت الحمو ؟ (والحمو هم أقارب الزوج) قال : الحمو : الموت » • وانمــا شبه هؤلاء الأقارب بالموت لأنهم بحكم صلة القربى بها قد ينتهكون حرمة البيت والعرض تحت هذا الستار ، والناس يظنون الخير من حولهم فيهم ومنهم الزوج •

واشتد تحذير الرسول صلى الله عليه وسلم للرجال أن يشاركوا النســاء هذه الخصلة القبيحة فقــال فيما أخــرج الطبرانى : « لأن يطعن فى رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له » •

ومما يؤسف له أن النساء فى العالم الاسلامى قد استخدمن العرف المتوارث فى هتك الشريعة ، واقناع الأزواج بهذا الباطل • فهناك صديق العائلة ، وهو صــديق من حقه أن يدخل

ويخالط الأسرة كلها فى حضرة الزوج وغيبته •• وهناك واجب الضيافة فى الوسط الشعبى حينما يسأل زائر عن الزوج وليس هو فى البيت ، فيقضى عرف هذه الطبقة أن تدخله الزوجة ، وتقدم له التحية حتى يحضر زوجها ، أو تخبره بعدم وجوده بعد ذلك •• وهناك بدعة الحذاء الحريمى يكون على باب قسم « الحريم » من البيت فى بعض دول الاسلام فلا يقربه الزوج ، بينما يكون فى الداخل رجل بين الحريم •• وهناك الخداع حيث تدخل الزوجة رجلا غريبا على أنه قريب ، أو تعقد أواصر الصداقة بين زوجها وبين رجل غريب لحاجة فى نفسها ونفسه •

وهذا كله من الخيانة •• والخيانة كذب فى النية ، وكذب اللسان أول كذب النية ، وكذب اللسان أول مسوغات الشك فى سلوك الزوجة • واذا غامت سماء الزوجية بالشك غامت نفس الرجل وقلبه نحوها ، ولم تعد زادا شهيا للجوع الجنسى بأى حال •• وقد ينتهى الحال الى اتفاق بين الزوجة والصديق على قتل الزوج حتى ينفسح لهما الطريق الى الحرام الخالص من المعوقات •

والخيانة فى المال تهديد مباشر للأسرة بالانهيار ، فالخائنة فى المال تحتجز لنفسها ما يحتاج اليه الأولاد ، وتحرج الزوج فى مجتمعه لأنه سيظهر بمظهر العاجز أو المقصر فى حقوق أسرته ، ومن ثم تنعدم المودة والرحمة من البيت ، وينعدم السكن واللباس تبعا لذلك ، فلا أمل فى السكن الى لص ، ولا حيلة فى اللباس بين مكافح وخائنة •

أما اذا كان الزوج غنيا وشحيحا فأخذت الزوجة ما يكفيها

دون علمه فليست خائنة فى المـال • وفى ذلك أخرج البخارى أن هندا زوجة أبى سفيان قالت : يا رسول الله •• ان أبا سفيان رجل شحيح ، وليس يعطينى ما يكفينى وولدى ، الا ما أخذت منه وهو لا يعلم • فقال : « خذى ما يكفيك وولدك بالمعروف » •

وكذلك من تحتجز بعض المـال دون علم الزوج لتظهره له عند الحاجة اليه ، فتلك امرأة شريفة طاهرة وأمينة •

ومن تأخذ من مال زوجهـا لتعطى أهلها ، أو لتحتاط لدنياها وحدها دون علمه فتلك هى الخائنة ، وهى القريبة من الخيانة فى العرض ما دام المـال هو هدفها فى حياتهـا الزوجية ، فهو أسرع اليها وأكثر فى دنيا الخيانة فى العرض ، وهى صاحبة قلب مريض ، ونفس مظلمة ، وصـاحب القلب المريض والنفس المظلمة محروم من أحاسيس الحب ، وجمال السكن ، وهدأة اللباس الزوجى •

* * *

هكذا كل أصحاب القلوب المريضة لا يحبون الا الظلام ولا يعشقون الا النفاق ، ولا يحسون بنقاء الايمان •• هكذا وصفهم القرآن •

فهم طامعون فى الحرام دائما : ولا يخضعن بالقول : « **فيطمع الذى فى قلبه مرض** » • (الأحزاب : ٣٢) •

وهم عشاق الفتنة « **فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة** » • (آل عمران : ٧) •

وهم لا يستجيبون لأى معنى روحى على الاطلاق ، لأن ردهم على وعود الله ورسوله للمؤمنين كان قولهم : « **ما وعـدنا الله ورسوله الا غرورا** » • (الأحزاب : ١٢) •

فكيف يستقيم ظلام النفس الخائنة ومرض قلبها مع نور الحب .. وكيف يتلاءم قلب مريض ونفس مظلمة مع صفاء اللباس العاطفى المنشود .. وكيف يفضل بناء أخلاق الاسلام فى نفوس الأبناء على بناء سجايا المـال ، وعفن السعار عند أصحاب تلك القلوب المريضة ؟؟

انها زوجة لا تصلح الا فى دنيا القوادين والخمارين ، فتلك هى الدنيا التى تقاس فيها العواطف بمقياس المـال .. أما فى دنيا الاسلام فالعواطف فوق المـال ، والسكن فوق السعار ، واللباس العاطفى أعظم ألف مرة من لباس الذهب والمـاس .

انها خضراء الدمن التى حذر منها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهى تجيد الحيلة لسرقة مال الزوج دون علمه ، ثم تصفه فى مجالس أهلها بأنه مغفل ، وهى تجيـد الحيلة لادخال من تريد الى بيت الزوجية سرا أو علانية ، ثم تسمى زوجها بلغتها (قرطاسا) أو (معرصا) . ثم هى مع ذلك تدارى عفنها بالتهتك والتبذل لتحكم الغطاء على عين الرجل الطيب الذى لا يسارع باتخاذ الاجراءات الشرعية المقررة فى هذا الصدد .

أخرج الترمذى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى حجة الوداع : « ... ألا واستوصوا بالنساء خيرا ، فانهن عوان عندكم ، ليس تملكون منهن شيئا غير ذلك ، الا أن يأتين بفاحشة مبينة ، فان فعلن فاهجروهن فى المضاجع ، واضربوهن ضربا غير مبرح ، فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا » .

والفاحشة المبينة ليست هى الزنا ، بدليل عقوبتها التى هى الضرب غير المبرح ، وليست هى عقوبة الزنا فى شريعة الاسلام • بل هى : النشوز عن الطاعة بالفاحش من القول والعمل • وقد أضاف قاضيخان فى فتاواه أمورا يجوز الضرب عليها فقال : « للزوج أن يضرب زوجته على أربع : ترك الزينة اذا أراد الزينة ، وترك الاجابة اذا أراد الجماع وهى طاهرة ، وترك الصلاة ، والخروج من المنزل بغير اذن » •

رابعا : أن تكون نظيفة وجديدة فى زينتها وحديثها وسجاياها •• والنظافة والزينة داخل البيت من أعظم وأجدى عوامل النجاح فى علاقات جنسية مثالية • فنظافة الجسد والثوب وجماله من أقوى ما يشد الزوج نحو الزوجة • والنظافة تضفى على النفس بهجة وصفاء على العكس من القذر والدرن الذى يغشى النفس بالكآبة والانطواء ، ولهذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « النظافة من الايمان » •

والكثير من الفتيات والنساء والزوجات لا يعنين بنظافة الفم والأسنان •

ولو علمن مدى الفزع والجزع والكزازة وانغلاق النفس والقلب من ريح الفم العفن لعذرن الأزواج فى هذه الحالة اذا تجنبوا الاقتراب منهن للحديث العادى فضلا عن محاولة القبلة أو المداعبة أو اللقاء •

وقد يعلمن ويغضبن اذا ظهر استياء الزوج ، وهذا هو الحمق بعينه ، وهو العناد الذى يبقى على أصل الداء ، حتى تتأصل منه عقدة فى نفس الزوج لا تزول بزوال سببها •

فمن لا تستطيع معاجين الأسنان فلها فى السواك فضيلة النظافة ، وازالة أسباب العفن ، وثواب السنة المباركة .. وفى ملح الطعام قضاء على مراكز التعفن فى اللثة ان كان حال الزوجين رقيقا لا يحتمل علاج الأطباء .

لا شىء يهدد العلاقة الجنسية بالفشل الكامل قدر بخر الفم ، وعفن اللثة والأسنان عند الزوجة والزوج معا .

لهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدمن السواك ، ويحث على ادمانه ، ويسنه عند كل وضوء وكل صلاة وكل نوم وكل يقظة .. وروايات الصحابة وأمهات المؤمنين عن سواكه وأمره أصحابه بالسواك ، لا لمجرد النظافة ، بل لازالة الألوان التى تشوه جمال الأسنان .

وقد أخرج النسائى أنه صلى الله عليه وسلم قال : « السواك مطهرة للفم ، مرضاة للرب » . وحينما كان يرى فى أسنان بعض أصحابه صفرة كان يقول كما أخرج الطبرانى : « مالى أراكم قلحا (بضم القاف وسكون اللام . يعنى صفر الأسنان) استاكوا » . وقال : « لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة » . أمرا وجوبيا ، لا سنة اختيارية . وكان هو صلى الله عليه وسلم على ما برأه الله من المنفرات يدمن السواك حتى تكاد تحفى قوادمه تعليما للأمة ، وتنبيها على هذا الخطر الذى يهدد العلاقة بين الزوجين تهديدا قاتلا ومباشرا .

ولقد كان أستاذنا الكبير الشيخ على حسب الله يعد محاضرته الأولى للفرقة الأولى فى دار العلوم القديمة فى أول

الأربعينات فى هذا الموضوع ، ويحث طلابه على اذاعة مضمون محاضرته بين الناس ، ولاسيما الشباب منهم رجالا ونساء •

وكم من جميلات اذا تحدثن اليك هاجمك فوج من العفن يثير الصداع ، ويزهدك فى الجميلات من مثيلاتها • فلعل نساء المؤمنين وفتياتهم يعين هذا الدرس جيدا ، ويحذرن من الوقوع فى تلك المهلكة المؤكدة •

ويلى هــذا فى الأهمية والخطورة خبث رائحة الفــرج وما بين الفخذين أو بين الأليتين ، ثم تحت الابطين ، وتحت الثديين • هكذا على الترتيب ، ولا حياء فى الاسلام •

أخرج الشيخان عن عائشة رضى الله عنها : « أن امرأة سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن غسلها من المحيض ، فقال : خذى فرصة من مسك فتطهرى بها • قالت : كيف أتطهر ؟ قال : تطهرى • قالت : كيف ؟ قال : سبحان الله ! تطهرى • فاجتذبتها الى فقلت : تتبعى بها أثر الدم » •

ولنا فى متن هذا الحديث وقفة • فالوسائل الثلاث التى وردت فى السنة للتطهر من الحيض على خلاف بين العلمــاء هى : الوضوء ، والغسل ، وغسل الدم • وليس من بينها تطييب المكان بالمسك • هذه واحدة • وثانية هى : أن تتبع مواضع الدم يعنى أن تطيب داخل الفرج بالمسك حتى منبع الدم •

والذى يبدو لى ــ والله أعلم ــ أن المرأة كانت تريد بالتطهر هنا : ازالة الرائحة الكريهة • ولهذا أشار عليهــا الرسول صلى الله عليه وسلم بالمسك • ولو كان الأمر مجرد تطهر من الحيض لأشار عليها بغسل الموضع بالمــاء ، لأن

تتبع أثر الدم بالمسك يزيل الرائحة الكريهة ، ولا يزيل أثر الدم من المكان ، فكأنه وضع الرائحة الطيبة والدم على حاله ، وهو ما نستبعد أن ينصح به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعلى أى حال فان فى مساحيق التنظيف والدش المهبلى كل المـأمول للتخلص من هذا المنفر البغيض .

أما الزينة فقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم النساء عليها ، وقد أخرج أبو داوود أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لامرأة أهملت زينة يديها : « يد امرأة هذه أم كفا سبع ، اذهبى فغيرى » . أى زينيها بالحناء أو بما يزين به النسـاء أيديهن .

وأوصى عبد الله بن جعفر ابنته فقال : « .. وعليك بالكحل فانه أزين الزينة ، وأطيب الطيب المـاء » .

وأوصت أعرابية ابنتها فقالت : « ... والكحل أحسن الحسن ، والمـاء أطيب الطيب ... » .

وما زال الكحل فى العينين سحرا لا يدانيه سحر ، لا سيما اذا شمل مساحة من الجفون تبرز العين بين ظلال الكحل أوضح اتساعا ، وأشد بياضا لبياضها ، وسودا لسوادها .. ففى هذه العيون هامت خيالات الشعراء ، بل وتسامت مواجيد الصوفية حتى قال قائلهم :

عيونى كالعيون من العيـون ومن نامى الهوى نمت عيونى

وما زال العصر يمد الزوجات بالجديد من زينة العيون ، وزينة الوجوه ، مما يهيىء لهن التجديد الدائم ، والخلاص من الملل .

ولا ننسى أن القرآن الكريم أطلق حرية الزينة للمرأة ، بشرط ألا تبدو الا لأزواجهن والمحرمات عليهن فقال تعالى :
« ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن » • الآية • (النور : ٣١) •

غير أن الاسلام اتجه بالمرأة اتجاها يحد من رغبتها فى اجراء تغييرات فى طبيعتها التى خلقها الله عليها باسم الزينة •

وقد أخبرنا الله تعالى فى كتابه الكريم أن تغيير خلق الله باسم الزينة والتجميل عمل شيطانى بينه القرآن على لسان الشيطان اذ يقول :
« ولآمرنهم فليغيرن خلق الله » •　　(النساء : ١١٩) •

وقد حدد رسول الله صلى الله عليه وسلم الأعمال المحرمة على المرأة فى مجال الزينة والتجميل من حيث هى تغيير لخلق الله فقال فيما أخرج الشيخان : « لعن الله الواصلة والمستوصلة ، والواشمة والمستوشمة ، والنامصة والمتنمصة ، والمتفلجات للحسن ، المغيرات خلق الله » •

والواصلة هى صانعة (الباروكة) والمستوصلة من تطلبها لتلبسها • والواشمة من تلون الجلد بلون أزرق • والنامصة من تزيل شعر الحاجبين أو ترققهما وتزيل ما بين الحاجبين اذا كانا مقرونين • والمتفلجة التى تبرد أسنانها لتبدو متباعدة •

ولم يكن أحد من النساء يفعل ذلك فى عصر النبوة ، وكان الكثير من الصحابة يتابع تنفيذ هذه الأوامر بين المجتمع ، منهم ابن مسعود ، وقد روى أحمد فى مسنده أن امرأة قالت له : كيف تحرم ما لم يحرمه الله فى كتابه ؟ قال : وما ذاك ؟ قالت :

النامصة والمتنمصة والواصلة والمستوصلة ••• قال : بل هو في كتاب الله • قالت : كيف ؟ قال : قال الله تعالى : **« وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا »** • (الحشر : ٧)
واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ••• وساق الحديث • قالت : فلعل أهلك يفعلنه • قال : ادخلى عليهن • فدخلت وخرجت وقالت : ما رأيت الا خيرا •

وفى مسند أحمد أن امرأة جاءت الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت : ان شعر ابنتى يتمرط ، وان زوجها يحبه ، أفأصله لها ؟ فقال : « لا » •

ونحن الآن أمام قضية خلاصتها : أن كل ما فيه تغيير فى أصل الخلقة فهو محرم ، وكل ما لا تغيير فيه فهو مباح • ولو نظرنا فى تدبر الى الشابات المسلمات من أهل الحجاب فى مصر ، وهن يتكاثرن بحمد الله تكاثرا يبعث على الفخر والدرس ، لوجدناهن ملتزمات غاية الالتزام بهـذه التعاليم النبوية وغيرها كالامتناع عن الطيب فى الطرقات •

ولو تأملنا هؤلاء الصالحات من فتياتنا لوجدنا أن الحجاب مع الطبيعة يبعث القلوب على احترامهن ، ولا يدفع النفوس الدنيئة نحوهن بسوء • ولو زججن حواجبهن لامتدت اليهن العيون الآثمة على الفور •• اذن فالتعاليم النبوية تحـد من سوء العيون ، وخبث النفوس •• ولكن ما موقف فتاة هذه صفتها من الحافز الجنسى لزوجها حين تتزوج ولا يباح لها أن ترجج حاجبيها ؟ •

وهل هناك حافز بديل لحافز التغيير المثير فى الخلقة ؟

أقول : نعم ، ان الفتاة الملتزمة بهذه التعاليم تبدو حقيقة أصغر من عمرها بكثير • فلو نظرت الى فتاتين فى العشرين من عمرهما ، واحداهما مزججة الحاجبين والأخرى غير مزججة ، لوجدت الأولى تكبر الثانية بعشر سنين • نتيجة لهذا التغيير • ومن المسلم به أن فى حداثة السن اغراء أجمل من الاغراء المصنوع الذى يتقدم بالسن بعيدا عن حقيقتها •

على أن فى اقتران الحاجبين جمالا واغراء لا يقاوم عند كل صاحب ذوق ، وفى المبالغة فى ترقيق الحواجب قبح لا يعدله قبح عند كل صاحب وجدان • ولو علم الله فى مسخ الطبيعة خيرا لأمرنا به ، وحيثما كانت الشريعة فثم مصلحة العباد وحياتهم الروحية والوجدانية على السواء •

والخلاصة أن الحافز الجنسى الناشىء عن الجمال الطبيعى المزين بما لا يخرجه عن أصل الخلقة حافز راق سام عميق ، أما الحافز الناشىء عن جمال ناشىء من تغيير خلق الله فهو حافز شيطانى نارى لا يلبث أن يفتر ويشيخ •

وأشر أنواع التغيير فى خلق الله بقصد التجميل والحفز الجنسى بين الزوجين بدعة تشبه المرأة بالرجل فى اللباس ، وقص الشعر ، والحركة والسكنة ، والتدخين فى الطرقات ، وارتياد أماكن الرجال ، الى غير ذلك مما هو شائع معروف ومشهود •

وتذكرنا هذه البدعة بمثلها تماما فى عصر بنى العباس ، اذ كان فى قصر الخلافة فتيات لبسن ملابس الرجال سموهن « الغلاميات » كن يخدمن الخليفة ، وقد نشأت عنهن بدعة اللواط بالذكر والأنثى جميعا ، حتى قال بعض الشيعة يحل

لواط الرجل بزوجته وبعبده المملوك الذكر ، وهى فتوى تمتد بجذورها الى أصل فكرة الغلاميات الوافدة من ايران التى كانت تعرف آنذاك بفارس •

بل لقد تعدى هؤلاء حدود الانسانية والأدب حين نسبوا الى الامام مالك والامام الشافعى وابن عمر وزيد بن أسلم القول بحل اللواط بالزوجة ، وقد رددنا عليهم ، وأبطلنا أدلتهم المزيفة فى كتابنا « هذا حلال وهذا حرام » الذى نشرته دار التراث العربى بالقاهرة •

دستور الزوجات على لسان أعرابية :

من أعظم ما سجله لنا التراث العربى تلك الوصية الرائعة التى أوصت بها أم أعرابية ابنتها ليلة زفافها ، ولهذا رأينا أن نسوقها ، فلعل فيها لبناتنا بلاغا وخيرا كثيرا • قالت الأعرابية :

« يا بنية •• انك فارقت الجو الذى منه خرجت ، وخلفت العش الذى فيه درجت ، الى وكر لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه ، فأصبح بملكه عليك رقيبا وملكا •

« فكونى له أمة يكن لك عبدا •

« يا بنية •• احملى عنى عشر خصال تكن لك ذخرا وذكرا : الصحبة بالقناعة ، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة ، والتعهد لمواقع عينيه ، والتفقد لموضع أنفه ، فلا تقع عينه منك على قبيح ، ولا يشم منك الا أطيب ريح ••

« والكحل أحسن الحسن ، والماء أطيب الطيب المفقود •• والتعهد لوقت طعامه ، والهدوء عند منامه ، فان حرارة الجوع

ملهبة ، وتنغيص النوم مبغضة .. والاحتفاظ ببيته وماله ، والارعاء على حشمه وعياله ، فان الاحتفاظ بالمـال حسن التقدير ، والارعاء على العيال والحشم حسن التدبير ..

« ولا تفشى له سرا ، ولا تعصى له أمرا ، فانك ان أفشيت سره لم تأمنى غدره ، وان عصيت أمره أوغرت صدره ..

« ثم اتق مع ذلك الفرح ان كان حزينا ، والاكتئاب ان كان فرحا ، فان الخصلة الأولى من التقصير ، والثانية من التكدير ..

« وكونى أشد ما تكونين له اعظاما ، يكن أشد ما يكون لك اكراما ، وأشد ما تكونين له موافقة ، يكن أطول ما يكون لك مرافقة ..

« واعلمى أنك لا تحصلين على ما تحبين حتى تؤثرى رضاه على رضاك ، وهواه على هواك ، فيمـا أحببت وكرهت ، والله يخير لك » .

فسمعت البنت وصية أمها ، وجعلتها دستورا لها ، وعملت بها ، فأنجبت سبعة من الأولاد كلهم ملكوا .

* * *

وهمسة مخلصة للسيدات المسلمات : لمـاذا لا تجربن الحياة الزوجية على منهج الاسلام ، بعد أن غامت بيوتكن بالتعاسة من جراء التقاليد والقواعد البعيدة عن منهج الاسلام ؟

ان المريض يجرب الدواء ، ويحرص عليه اذا وجد فيه راحة من آلامه ، فجربى وسوف ترين أنك أسعد النساء ، وسوف يرف السرور على محياك ، وتقتحم البهجة أرجاء بيتك .

انه زواج وليس متعة مؤقتة ، والله تعالى عبر عنه بالميثاق الغليظ تحريما لحرمته ، فكونى وفية لربك ، فهو العليم بما يصلح بالك ، ويحفظك من هجمات الهموم .



ثانيا : الأزواج

تمهيــــد :

يخطىء كثير من الرجال حينما يعتقد أن رغباته وحدها هى المقصودة من الزواج ، وأن الزوجة وسيلة لاشباع غرائزه وعواطفه ، دون اعتبار ولا نظر الى انسانيتها ولا ما يموج فى داخلها من غرائز وعواطف قد تكون أقوى وأعنف من عواطف الرجل .

ولم يقتصر الانحراف من الرجل على أنانيته فى علاقته الجنسية بزوجته ، بل لقد تعدى الى أنانية الاستبداد بالرأى ، والاستبداد بالحكم على المرأة دون نظر الى شريعة ولا ضمير .

لقد استبد الجهلاء من الآباء بترويج بناتهم ممن أرادوا دون نظر الى رأى البنت ، ولا احترام لرغبتها ، واعتبروا ابداء رغبة الفتاة ضربا من سوء الأدب لا يجوز فى عرفهم المريض .. وغاب عن هؤلاء أن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر باستئذان الفتــاة ، واستأذن هو ابنته فاطمة رضى الله عنهــا حينما خطبها على رضى الله عنه ، وغاب عن علمائنــا أن يركزوا جهودهم للقضــاء على هذه البدعة الجاهلية ، والعريقــة فى السوء ، بالتدخل المباشر ، لا بالوعظ الذى لا يجدى مع هؤلاء .

وتبعا لذلك فقد امتهن الأزواج من هذه الطبقة الجاهلة زوجاتهم ، واعتبروهن مجرد متاع يؤخذ متى أرادوا ، ويلقى به فى الطريق متى أرادوا ، حتى تأصلت فى تلك الأدمغة المتعفنة

جملة ما زلنا نسمعها من تلك المسوخ الشوهاء هى : « المرأة كالنعل فى رجل الزوج يرمى به متى أراد ، ويغيره متى أراد » •

وقد اتخذ امتهان الزوجات صورة أخرى فى بلاد الجزيرة العربية ، اذ يتحتم على الزوجة ألا تشارك زوجها الطعام ، وألا تشاركه مجلسه ، بل تتخذ مكانها مع مثيلاتها من نســاء المنزل المنبوذات اللاتى لم يصلن بعــد الى شرف مجالسة صاحب الجلالة المسخ المشوه الجاهل •

بل ان أعجب العجب وأغرب الغرائب فى دنيا المسوخ أن تبقى المرأة محتجبة ببرقعها وملابسها الضافية داخل المنزل ، وفى خلوتها مع الرجل ، ولا تكشف من جسدها الا موضع اللقاء الذى يتم بهذه الطريقة التى تؤكد عدم الامتزاج بينهما •• ويدل على ذلك أن الكلمات الموجهة لهؤلاء الرجال من النساء أثناء اللقاء كما علمنا من مصادرنا لا تدل مطلقا على ارتياح الزوجة ولا اندماجها مع زوجها • ومن هذه الكلمات على سبيل المثال : « كود كود » يعنى اشتد • و « يعطيك الحمى الجمة » يعنى أصابك الله بحرارة بدل هذا البرود • و « يعطيك الطائف الذى له سفائف » أى أصابك الله بعفريت له زوابع بدلا من هذا الخمول •

انها ليست رغبة المرأة ولا رغبة الرجل ، بل هى رغبة المجتمع فى بعض البلاد ، أو رغبة الطبقة فى بعضها الآخر ، بحيث أصبح الخروج على هذه التقاليد ضربا من الفضيحة والوبال •

ومن الغرائب : أن تتحكم نزوة المــال فى عصرنا فى البلاد النامية لدى الأوساط الوضيعة ، فيبيع الأب ابنته الصغيرة

لحطام رجل لا يقوى على السير ، ويقذف بها بعيدا عن وطنها ، بحيث لا تجد ما يملأ أي فراغ في وجدانها ، لا من رجولة ، ولا من عاطفة ، ولا من منظر يسر العين الرمداء فضلا عن العين السليمة .

ان بقايا العصر الحجرى من الآباء الجهلة يجب أن يقهروا قهرا على الطريق الصحيح لتزويج البنات ، لاسيما وأن هذا السلوك أدى الى عدة نتائج خطيرة على المجتمع كله ، بل وعلى سمعة الكثير من بلاد الاسلام فى العالم ، ومن تلك النتائج :

١ ــ سكوت الفتاة التى زوجت دون ارادتها على مضض ، وخوفا من انتقام الوحوش الذين يأبون عليها أن تظهر آلامها ، فضلا عن أن تحطم هذا القيد ، وتتفلت من سلطة هذا الصنم الذى فرضت عليها عبادته جاهلية فى بلاد الاسلام . ونتيجة هذا السكوت مجموعة من أمراض النفس تظهر آثارها على المرأة فى صورة اكتئاب ، واهمال كامل لمظهرها ، حتى لا تفرق بينها وبين السوائم التى فرضت عليها خدمتها الى جانب خدمة البهيمة الكبرى التى ارتبطت بها برباط سموه رباط الزوجية ، وهو منها بعيد .

٢ ــ الفشل الذريع فى الزيجات التى تفرض على البنات خارج البلاد طمعا فى المال ، فما تلبث البنت أن تعود محملة بطفل هو بالنسبة لأهلها كل السعادة ، وبالنسبة لها كل الشقاء . سوف يقبض الآباء المال ، وسوف تحرم الفتاة من المتعة المباحة مع رجل لا يحتمل هذا الطفل الغريب ، وان احتمله فسوف يحتمله بثمن باهظ ربما كان من صميم عرضها .

٣ ــ الانفلات والانفجار كلما عنت فرصة للإنفلات والانفجار ، وقد نشأ عن هذا الانفلات جيش من البغايا والداعرات يتعرضن سرا وعلانية للراغبين ، فى صورة خدم للسائحين أو غيرهم حيث لا يرجى لهن شفاء من هذا الداء الوبيل ، وسمعة بالغة السوء لتلك البلاد التى تموج بهذه الجيوش من الداعرات بائعات الأعراض والأجساد على مستوى العالم كله ، فليس هناك أنجس للسمعة من امرأة ترتزق من عرضها ، وتربى أولادها من تأجير جسدها •

الزوج كما تريده الشريعة :

وقد قررت شريعة الاسلام بالنسبة للرجل من التشريعات ما يكفل للزواج النجاح ، وما يحفظ للزوجة حقوقها المالية والعاطفية والجنسية والانسانية على صورة مشرقة بعيدة عن التفضل أو الاستجداء •

وفى نفس الاتجاه الذى حددته الشريعة للزوجة اتجهت بالزوج ليحقق مقدمة ، ونتيجة ، وهدفا •

أما المقدمة فهى : أن يكون الزوج ــ كما كانت الزوجة ــ جامعا لعدد من السجايا والخصال والسمات تهيىء الزوجة للاندماج معه فى وحدة متكاملة ، وليكون لباسا ضافيا من العاطفة يغمرها بفيض من الرضا والطمأنينة والسكون • وأما النتيجة فهى قصر عين زوجته وعواطفها عليه وحده بحيث لا تتعداه ولا ترضى به بدلا • وأما الهدف الأسمى فهو : أن يكون البيت المسلم ساكنا من الاضطراب فياضا بالمودة والرحمة ، على الأبناء ، مشعا بهما على المجتمع مبادرة وتجاوبا ، وهو ما ينشده الاسلام من بناء مجتمع الجسد الواحد ، وأهم هذه التشريعات :

أولا : أن يكون الزوج من اختيار الزوجة وحدها • وذلك بأن تستأمر حين يتقدم اليها ، فتبدى رأيها صراحة بالموافقة عليه أو رفضه ، واحترام رغبتها احتراما مطلقا ، ما لم يكن فاسقا مجاهرا ، أو ذا سمعة سيئة بين الناس •

وفى استئذان الزوجة يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم كما فى الصحيح : « البكر تستأذن ، واذنها صماتها ، والثيب تستأمر » • أى أن الثيب لابد أن تنطق صراحة برأيهـا ، أما البكر فلخجلها ربما سكتت ، وسكوتها هو رضاها ان لم تنطق •

وفى صلاح الزوج يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أخرج البخارى : « ان جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه ، الا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير » •

فلم يحـــدد رسول الله صلى الله عليه وسلم من صفات الرجل الجمال كما حدده فى المرأة ، حافزا للاختيار ، لأن مقياس الزوجة يختلف عن مقياس الزوج ، فاذا كانت المرأة ترغب لجمالها ومالها ، فان الرجل يرغب لخلقه ودينه ما لم يكن دميما تنفر منه العين ، ويصيب النفس بالاشمئزاز ، فالزوجة تأنس الى الخلق والرجولة ، ومع ذلك فهى تنفر من المنظر الكئيب شأنها فى ذلك شأن الرجل •• ومن ترفضه امرأة ترضى به أخرى ، ومن يرفضها رجل يرضى بها آخر ، وسبحان من خالف بين الأذواق ليكمل عمران الحياة •

وقد أباح رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحدى النساء أن تنفصل عن زوجها ثابت بن قيس لأنه كان دميم الخلقة ، أسود اللون ، قصير القامة ، وقالت فى شكواها لرسول الله

صلى الله عليه وسلم : انى لا أعتب عليه فى خلق ولا دين ، ولكنى أكره الكفر فى الاسلام .. أى أكره أن أقع فى جريمة الزنا بعد الاسلام .

ثانيا : أن يكون قادرا على الوفـــاء بالحقوق الجنسية للزوجة ، بريئا من العجز الجنسى ، ومن حقها رفضه صراحة اذا كان مصابا بالعنة .. وقد أباح رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحدى النساء أن تطلب الانفصال عن زوجها لهذا السبب وقد قالت فى شكواها : ان ما معه كهدبة الثوب . أى : ان عضو تذكيره لين كالخرقة لا ينتصب .

ثالثـــا : أن يحترم انسانيتها ، ويشاركها رغباتها فى اللهو المباح .. هكذا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديث الترمذى فقال : « ... ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا اليهن فى كسوتهن وطعامهن » . وليس من الاحسان أن تأكل ما يفضل من طعام الرجل ، بل أن يشاركها الطعام كما جاء فى حديث معاوية بن حيدة عند أبى داوود قال : يا رسول الله .. ما حق زوجة أحدنا عليه ؟ قال : « أن تطعمها اذا طعمت ، وتكسوها اذا اكتسيت ، ولا تقبح الوجه ، ولا تضرب ، ولا تهجر الا فى البيت ، كيف وقد أفضى بعضكم الى بعض » .

وفى حديث الترمذى عن عائشة : « أكمل المؤمنين أحسنهم خلقا ، وألطفهم بأهله » .

فالتعالى على الزوجة ، وعدم رعاية مشاعرها من أخلاق الجاهلية ، وليس من أخلاق الاسلام ، وليس من عوامل التقارب العاطفى بينهما . وقد هدم رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الخلق الجاهلى بسنته العملية . ويحقق هذا ما أخرج

الشيخان عن عائشة قالت : كنت ألعب بالبنات عند النبى صلى الله عليه وسلم ، وكانت عندى صواحب يلعبن معى ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل ينقمعن منه (أى يقمن اجلالا له) فيسربهن (أى يرسلهن سرا) ليلعبن معى .

فلم يشأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبقى على هذا الخلق الجاهلى ، وانما أراد أن يعلم الأمة أن مسايرة الزوجة فى هواياتها المباحة هو عنوان الرجولة الحقة ، وليس التعالى الفارغ الذى ما زال قائما فى بعض البيئات الجاهلية .

وقد أرادت عائشة رضى الله عنها أن تعلن هذه الخصلة التى تمزج بين قلبى الزوجين فلا تدع بينهما هوة واسعة ، لتصحح المفهوم الجاهلى الخاطىء الذى يقضى بعزل الزوجة عن الزوج فى الحياة العامة . فقالت فيما أخرج الشيخان : « دعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم والحبشة يلعبون بحرابهم فى المسجد فى يوم عيـــد ، فقال لى : يا حميراء ، أتحبين أن تنظرى اليهم ؟ فقلت : نعم .. فأقامنى وراءه ، فطأطأ لى منكبه لأنظر اليهم ، فوضعت ذقنى على عاتقه ، وأسندت وجهى الى خده ، فنظرت من فوق منكبه ، وهو يقول : دونكم يا بنى أرفدة ، فجعل يقول : يا عائشة ، ما شبعت ؟ فأقول : لا ، لأنظر منزلتى عنده ، حتى شبعت .

قالت : وما بى حب النظر اليهم ، ولكن أحببت أن يبلغ النساء مقامه لى ، ومكانى عنده ، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن ، الحريصة على اللهو » .

ومن السنة العملية التى تحث الأمة على أن اللهو مع الزوجة ليس من اللهو المحرم ، بل هو من اللهو المشروع للمزج

بين قلبيهما ، والذى بادر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة دون أن تطلب منه شيئا : ما أخرجه أبو داوود عنهـا أنها كانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر ، وهى جارية ، قالت : لم أحمل اللحم ولم أبدن (أى لم أضعف) فقال لأصحابه : تقدموا • ثم قال : تعالى أسابقك • فسابقته فسبقته على رجلى ، فلما كان بعد ، خرجت فى سفر معه ، فقال لأصحابه : تقدموا ، ثم قال : تعالى أسابقك ، ونسيت الذى كان ، وقد حملت اللحم وبدنت ، فقلت : كيف أسابقك يا رسول الله وأنا على هذه الحال ؟ قال : لتفعلن ، فسابقته فسبقنى ، فجعل يضحك ويقول : هذه بتلك السبقة » •

بل ان التقارب والاتحاد بين الزوجين ليبلغ مداه فى حديث عائشة عند مسلم وغيره قالت : « ان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليؤتى بالاناء فأشرب منه وأنا حائض ، ثم يأخذه ، فيضع فاه على موضع فى ، وان كنت لآخذ العرق (اللحم المختلط بالعظم) فآكل منه ، ثم يأخذه فيضع فاه على موضع فى » •

هـذا رد عملى بوجوب القرب من الزوجة ومشاركتها الحياة حتى فى حال الحيض ، وهو موجه الى كل من لا يزال مخالفا لتعاليم الاسلام بعزل الزوجات فى البيوت لا سيما فى حال الحيض ، وذلك لدوام التآلف والمودة التى قد يخدشها مثل هذا السلوك المعيب ، فيباعد بين القلوب ، ويجعل التقارب العاطفى عصيا وعسيرا بعد ذلك •

واعتزال النساء فى الحياة المنزلية من عمل الجاهلية ، واعتزالهن فى حال الحيض من عمل اليهود ، وقد هدم الرسول

صلى الله عليه وسلم عمل الجاهلية بالسنة القولية والفعلية ، وهدم فعل اليهود بسنته العملية كما رأينا ، ثم هدمه بسنته القولية حينما نزل قوله تعالى : « **فاعتزلوا النساء فى المحيض** » • (البقرة : ٢٢٢)

وكانت اليهود اذا حاضت المرأة أخرجوها من البيت ، ولم يؤاكلوها ، ولم يشاربوها ، ولم يجامعوها (أى لم يخالطوها) فى البيت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « جامعوهن (أى خالطوهن) فى البيوت واصنعوا كل شىء الا النكاح » •

بل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب المثل الأعلى للأزواج فى مخالطة الزوجات ، فشارك أهله فى خدمة البيت • ففى « الشمائل » أنه كان يرقع الثوب ، ويكنس البيت ، ويحلب الشاة ، ويخصف النعل •

رابعا : أن يكون نظيفا جميل المظهر •• وليس ذلك فى وقت اللقاء الجنسى فحسب ولكن فى كل الأوقات كما تكون الزوجة تماما •

ويخطىء الكثير من الرجال حين يرى أن المرأة يعجبها الرجل على كل حال من أحواله ، سواء أكان قذر الثوب خبيث الرائحة ، أبخر الفم أو كان نظيفا طيب الرائحة • ولكن المرأة كائن حى عاقل له ذوق قد يكون أرق من ذوق الرجل ، فكيف يهدر احساسها وذوقها على هذه الصورة التى بقيت من تراث الجاهلية ؟

انها تحس كما يحس الرجل وأكثر مما يحس الرجل فى هذه الناحية ، ولكن الحياء قد يمنعها من مواجهة الرجل بهذه

العيوب المنفرة التى تباعد بين قلبها وبينه ، وتحرمها من متعة الاتحاد الجنسى معه ، وقد يمنعها خوفها على حياتها الزوجية من التمزق ، فتسكت على مضض وهى بعيدة عنه ، ليس له منها سوى جسدها ، أما قلبها فيتمزق ألما ، ويتحرق شوقا الى اتحاد جنسى كامل •

وقد يؤدى اهمال الرجل لمظهره ونظافته الى وقوع الزوجة فى الزنا ، هكذا أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم كما روى الطبرانى أنه قال : « اغسلوا ثيابكم ، وخذوا من شعوركم ، واستاكوا ، وتزينوا ، وتنظفوا ، فان بنى اسرائيل لم يكونوا يفعلون ذلك ، فزنت نساؤهم » •

وكان عبد الله بن مسعود وهو أشبه الصحابة هديا برسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك ويقول : أفلا تحبه من امرأتك ؟

وفيما أخرج الترمذى والنسائى أن عائشة قالت للنساء : « مرن أزواجكن أن يستطيبوا بالماء ، فانى أستحييهم منه ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفعله » • وسياق الحديث يدل على أن أم المؤمنين لم تقل هذا القول من فراغ ، وانما كان عن شكوى من النساء •

والخمس التى هى من الفطرة كما جاء فى حديث الشيخين : « حلق العانة ، ونتف الابط ، وتقليم الأظافر ، وقص الشارب » وهى من النظافة الداخلية التى سنت للرجال والنساء ، ولم يعف منها الرجال كما هو شائع فى كثير من الأوساط •

وحتى تصفيف الشعر ودهنه وتطييبه • ففى موطأ مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فى المسجد ، فدخل

رجل ثار الرأس واللحية ، فأشار اليه : أن اخرج ، كأنه يغنى اصلاح شعر رأسه ولحيته ، ففعل ثم رجع ، فقال صلى الله عليه وسلم : « أليس هذا خيرا من أن يأتى أحدكم ثائر الرأس كأنه شيطان » ؟

وعند أبى داوود يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان له شعر فليكرمه » أى يتعهده بتمشيطه ودهنه ونظافته .

ومن العادات المستهجنة التى اعتادها الكثير من الرجال ، وهى بغيضة عند أصحاب الذوق من الرجال فضلا عن النساء وهن الرقيقات عادة التجشؤ بصوت مسموع . فاذا كان هذا العمل ينفر الرجل فلأن ينفر النساء أولى . وفيه أخرج الترمذى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل يفعله : « كف عنا جشاءك (تكرعك) فان أكثركم شبعا فى الدنيا أطولكم جوعا يوم القيامة » .

وكان صلى الله عليه وسلم كما أخرج أبو داوود يدمن أن يقول اذا رأى مسلما لا ينظف ثوبه : « أما يجد هذا ما يغسل به ثوبه » .

وكان هو صلى الله عليه وسلم أنظف الناس ثوبا ، وأطيبهم ريحا ، حتى كان يسبقه ريحه الطيب فيعرف أصحابه قدومه بشذاه .

وهل يعقل أن تحتضن الزوجة زوجها وهو قذر الثوب ، خبيث الرائحة ، أبخر الفم ؟؟ بل انها تتحاشاه ، وهى فى الحقيقة تتحرق الى حضن آخر تستكين اليه فى سرور من النفس ، واستغراق من الوجدان .

خامسا : أن يكون رحيما بها ، صابرا على بعض عوجها ، رفيقا بها ، حانيا عليها ، وقد أخرج مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يفرك (أى يبغض) مؤمن مؤمنة ، ان كره منها خلقا رضى منها آخر » •

وفى خطبة الوداع قال صلى الله عليه وسلم : « استوصوا بالنساء خيرا ، فانهن عوان عندكم » • أى شبه أسيرات • وفى رواية : « رفقا بالنساء » • وكان صلى الله عليه وسلم يأمر أنجشة فى السفر بالتمهل رفقا بالنساء ويقول : « رفقا أنجشة بالقوارير » •

ولا تفتقد المرأة شيئا من العاطفة أكثر مما تفتقد الحنان من الزوج ، وشعورها بهذا الحنو يجعلها تذوب وتفنى فى شخصيته ، وتهيم به حبا ، لأنه حينئذ يمثل الأب والزوج والأخ والصديق ، وهذا هو سر المرأة الذى تشكوه كلما استبد بحياتها الزوجية طائف من العواصف والزوابع •

ومنه : أن تحس الزوجة أن زوجها يتغاضى عن بعض عوجها فى طباعها ، وما أكثره ، بحكم طبيعتها التى تنزع نحو الاستبداد بالرأى ، والعناد ، لأنه حينئذ يحميها من شرور نفسها ، ولا يكشفها ويعريها أمام المجتمع ، واذا حماها من نفسها هكذا فانه يحميها من غيرها ، ومن عاديات الحياة كلها ، وتلك الحماية هى أمنية الأنثى ، وهى الموجة الساحرة التى تحتويها ، وتضمها فى سعادة بين ألحانها الحالمة •

ومنه : ألا يكون قاسيا عليها فى تأديبها حينما تقضى الشريعة بوجوب التأديب بالضرب • ولا يكون ذلك الا بعد الموعظة والهجر فى البيت •• ولما كان الهجر طريقا الى

إهدار للعلاقة الجنسية ، واهدار للعلاقة العاطفية ، فقد أبيح بعدها الضرب الخفيف غير المبرح لانهاء النزاع ، واعادة الحياة الى طبيعتها .. والا فقد استعصت الحياة ، وأصبح من الواجب التحكيم .

والضرب المشروع انما هو عقوبة رمزية لا يقصد بها الايذاء ، وانما يقصد به الاشعار بالغضب ، أما ما يراد به الايذاء فربما كان قاطعا لأواصر المودة والرحمة وغيما قاتما فى سماء السكن الآمن .

وقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم من المبالغة فى الضرب حفاظا على العواطف المتبادلة فقال فيما أخرج الترمذى : « لا يعمد أحدكم الى امرأته فيجلدها جلد العبد ، فلعله يضاجعها فى آخر يومه » .

هذا هو الأصل ، وما عداه شذوذ . وذلك عند طائفة معينة من النساء لا تتحرك عواطفهن الا تحت تأثير الاضطهاد العنيف ، وهو مرض نفسى معروف تصاب به النساء ، ويصاب به الرجال كذلك . ويغلب على النساء فى الأوساط الشعبية ، وعلى الرجال فى الأوساط المترفة .

سادسا : أن ينظم علاقته الجنسية بزوجته ، فلا يهجرها مدة تنسى فيها زينتها وأناقتها . فهى لا تنسى أناقتها وزينتها الا ويتبع ذلك خمول عاطفى وجنسى عند أهل الخلق والدين . أما عند غيرهن فانها تبحث عن متاعها حراما بعد أن فقدته حلالا .

وقد حث رسول الله صلى الله عليه وسلم الأزواج على اتيان زوجاتهم ، واعتبره عملا صالحا يثاب عليه مثل بقية

الأعمال الصالحة . وفيه أخرج مسلم : أن ناسا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قالوا له : يا رسول الله .. ذهب أهل الدثور (الثروة) بالأجور ، يصلون كما نصلى ، ويصومون كما نصوم ، ويتصدقون بفضول أموالهم . قال : « أوليس قد جعل لكم ما تصدقون ؟ ان بكل تسبيحة صدقة ، وأمر بالمعروف صدقة ، ونهى عن المنكر صدقة ، وفى بضع أحدكم صدقة » . قالوا : يا رسول الله .. أيأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال : « أرأيتم لو وضعها فى حرام ، أكان عليه فيها وزر » ؟ قالوا : بلى . قال : «فكذلك اذا وضعها فى الحلال كان له أجر» .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وفقهاء أصحابه يتابعون الحالات التى يهمل فيها الرجال نساءهم دون أن يجددوا نشاطهن العاطفى والجنسى بالنصح والارشاد .

ومن ذلك ما أخرج أحمد أن زوجة عثمان بن مظعون كانت تختضب وتتطيب ، ثم تركت ذلك ، فدخلت على عائشة يوما بدون طيب ولا خضاب ، فعجبت عائشة ، فسألتها : ما حملك على ذلك ؟ فقالت : يا أم المؤمنين ، ان عثمان لا يريد الدنيا ، ولا يريد النساء . فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبرته عائشة بذلك ، فدعا عثمان فقال : « يا عثمان.. تؤمن بما نؤمن به » ؟ قال : نعم .. قال : « فأسوة لك بنا » .

وأخرج البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم آخى بين سلمان وبين أبى الدرداء ، فجاء سلمان يزوره ، فاذا أم الدرداء مبتذلة (تاركة زينتها) فقال : ما شأنك يا أم الدرداء ؟ قالت : ان أخاك أبا الدرداء يقوم الليل ، ويصوم النهار ، وليس له فى شىء من الدنيا حاجة .

فجاء أبو الدرداء ، فرحب به ، وقرب اليه طعاما ، فقال سلمان : اطعم . فقال : انى صائم . قال : أقسمت عليك لتفطرنه ، ما أنا بآكل حتى تأكل . فأكل معه ، ثم بات عنده ، فلما كان من الليل أراد أبو الدرداء أن يقوم ، فمنعه سلمان ، وقال : يا أبا الدرداء ، ان لبدنك عليك حقا ، ولربك عليك حقا ، ولأهلك عليك حقا ، صم وأفطر ، وصل ، وائت أهلك ، وأعط كل ذى حق حقه .

فلما كان وجه الصبح قال : قم الآن ان شئت . فقاما فتوضآ ، ثم ركعا ، ثم خرجا الى الصلاة ، فدنا أبو الدرداء ليخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذى أمره سلمان . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صدق سلمان » .

وفى عهد عمر بن الخطاب شكت امرأة اليه طول مباعدة زوجها اياها ، فحكم كعب الأسدى أن يأتيها كل أربعة أيام مرة ، وقال : هو أعدل .

وهكذا ينهج الاسلام بأهله منهج تجديد العواطف والعلاقة الجنسية ، لاستبقاء الزوجة ريحانة للبيت تنشر فى أرجائه البهجة والسرور والمرح ، وتتجدد بذلك حيوية الرجل ، فلا يضعف لطول الهجران ، وذبول زهرة البيت ، فهما من ثم يمد كل منهما الآخر بأسباب الحيوية والبهجة والقوة .

سابعا : أن يتجنب مفاجأتها بعد طول الغياب ، فاذا كان فى سفر ثم عاد لم يفاجىء زوجته بالدخول ، واذا أراد اللقاء لم يفاجئها به دون تنبيه فى كلا الحالين .

وأصل ذلك فى السنة النبوية ما أخرجه الشيخان عن جابر قال : كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة ، فلما

قدمنا المدينة ذهبنا لندخلها ، فقال صلى الله عليه وسلم : « أمهلوا ، لا تدخلوا ليــلا ــ يعنى عشاء ــ حتى تمتشط الشعثة ، وتستحد المغيبة » .

والمغيبة هى التى غاب عنها زوجها ؛ وهى عادة تهمــل زينتها كما تترك شعر عانتها يطول ، والاستحداد ازالة هذا الشــعر .

والهدف من هذا التشريع هو ابقاء الرغبة فى الزوجة قوية بحيث لا يحد منها أن يطلع الزوج على عيوبها : من تشعث الشعر ، وطول شعر العانة ، واهمال الزينة ، بل يجدها دائما فى حال من الجمال والزينة والأناقة والرشاقة يبقى على سرور النفس ، وحيوية الرغبة .

وقد كان الصحابة لا يفجأون زوجاتهم بالدخول عليهــن فى الأحوال العادية دون تنبيه واشعار بدخولهم ، فربما كانت الزوجة فى حال انفرادها على وضع لا يليق أن يراها عليه الزوج .

وربما كانت الزوجة مشغولة ببعض عمل البيت حتى أهملت بعض زينتها واستعدادها للقاء ، والزوج راغب فى اللقــاء ؛ ومن هنا كان تنبيه الزوجة أولى ، وأدوم لتعلق النفس والقلب بها ، وأحفظ لها من دواعى النفور والملل من جانب الزوج .

ومن **المفيــد** كل الفائدة فى توثيق العلاقة الزوجية من الوجهة الجنسية بوجه خاص أن يطول ايناس الزوج لزوجته فى الليلة التى يعتزمان فيها اللقاء ، فشعور الزوجة برغبة زوجها فى الائتناس بها قبل اللقاء بوقت طويل ، وفى جلسة حرة من القيود ومن التقاليد ، يفعل فعل السحر فى نفسها وقلبها ،

ويهيىء لها قدرا عظيما من الاستمتاع النفسى ، ويروى كبرياء الأنوثة فيها ، ويمهد لنجاح اللقاء الجنسى ، وللاشباع والاعفاف المنشودين من الزواج •

ثامنـا : ألا يذيع ما بينه وبين زوجته من أسرار اللقاء أمام الناس • وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذا الصنيع نهيا شديدا فقال فيما أخرجه مسلم وأحمد والبيهقى : « ان من أشر الناس منزلة يوم القيامة الرجل يفضى الى امرأته وتفضى اليه (أى يصل اليها بالمباشرة وتصل اليه) ثم ينشر سرها » •

ويظهر أن هذه العادة كانت شائعة منذ عصر النبوة فى الرجال والنساء جميعا ، مما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى التحذير منها على مستوى المرأة والرجل ، فقال فى مجلس قد اجتمع فيه الرجال والنساء عنده فيما أخرجه أحمد وأبو داوود : « لعل رجلا يقول ما يفعل بأهله ، ولعل امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها » ؟ فأرم القوم (أى سكتوا) • فقالت أسماء بنت يزيد : اى والله يا رسول الله •• انهن ليفعلن ، وانهم ليفعلون • قال : « فلا تفعلوا ، فانما ذلك مثل شيطان لقى شيطانة فى طريق ، فغشيها والناس ينظرون » وفى رواية : « ثم راح وتركها » •

وخطورة افشاء أسرار الزوجية تأتى من ناحيتين :

احداهما : خاصة بالزوجة ، فهى أكثر حياء من الزوج ، وافشاء أسرارها يدفعها الى كبت مشاعرها ، وعدم التفريغ النفسى عند اللقاء ، حتى لا تبدو منهـا تعبيرات غير عادية يستغلها الزوج فى الحديث بها الى الناس تفاخرا برجولته وقدرته على استخراج مكنون المشاعر النسائية •

فالمشروع أن الرجل ستر على زوجته ، والمرأة ستر على زوجها ، يستمتع كل منهما بما يبدو من صاحبه من انفعالات نفسية وعاطفية وجسدية فى الخلوة وأثناء اللقاء ، ويدع كل منهما صاحبه على سجيته فى التعبير عن انفعالاته بما يريد من الوسائل المباحة ، وهذا هو التفريغ النفسى والعاطفى الضرورى للقضاء على جميع العقد الناشئة عن الكبت ، واللازم للوصول الى صحة نفسية كاملة وباعثة على السرور واعتدال الصحة الجسديد .

وهذه الانفعالات تتسم بالجبن الشديد عند الزوجة ، كما أن ثوران الغريزة نفسك يتسم بالجبن عند الزوجين ، فاذا انكشف شىء من هذه الانفعالات النسائية خارج بيت الزوجية امتنعت الزوجة عن الاستجابة له مرة أخرى ، ومن ثم تصاب بأمراض الكبت ، فضلا عن أن تزهد فى هذا الزوج الذى لا يسترها أمام الرجال . كما أنه اذا انكشف الثوران الجنسى أمام طفل رضيع أو أمام صبى يافع فانه يبرد على الفور ، وهذا هو الجبن فى الغريزة وانفعالاتها .

والثانية : هى ما هدف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى التحذير منه حين صور افشاء الأسرار من كلا الزوجين على أنه صورة جنسية شيطانية معروضة فى الطريق العام . والفتنة الشيطانية المعروضة فى الطريق العام تتوق اليها النفوس الآثمة ، بل وتنفق فى سبيل الحصول عليها أعز الأموال .

واذا كانت ألوان النساء فى التعبير عن العواطف والانفعالات عند اللقاء مختلفة ، وكذلك ألوان الرجال ، فان عرض هذه الانفعالات بنوعيها ربما صادف نفسا هاوية

للتغيير ، معتادة البحث عن هذه الألوان ، فتحاول هذه النفس الخبيثة أن تصل الى هذا الزوج أو الى تلك الزوجة على طريق الحرام ، وهو الأمر الذى حذر منه الرسول صلى الله عليه وسلم صراحة بقوله : « ليس منا من خبب امرأة على زوجها » • أى أفسدها • ولا يغلب هـذا الافساد الا اذا تعرضت المرأة للرجال بدلها وفتنتها وغوايتها ، أو بلغهم من أسرارها ما يدفعهم الى محاولة الوصول اليها •

تاسعا : أن يستمسك الرجل بمقومات رجولته الشكلية والذاتية ، فلا يتشبه بالمرأة فى ملابسه وفى تشكيل شعره كما هو معروف بين الكثير من شبابنا الآن فى كل بلاد الاسلام •

ومنذ أربعة عشر قرنا حذر رسول الاسلام صلى الله عليه وسلم من هذه الفتنة العمياء بقوله : « لعن الله المتشبهات بالرجال من النساء ، والمتشبهين بالنساء من الرجال » •

وتأتى هذه البدعة كما قلنا ثانية ببدعتين هما أخطر البدع على الاسلام فى العصر الحديث ، وهما فيما يعرف باسم « ثقافة الشباب » • تلك الثقافة التى تتمثل فى أخطر مظاهرها وأهونها فى أعين البلهاء ، وهما : الموسيقى الصاخبة التى بدأها « البيتلز » • أو ما يترجم خطأ باسم « الخنافس » • والتى تضج بها اذاعات العالم الاسلامى ، وفى أنواع الملابس التى لا تفرق بين الجنسين وهى « الجينز » •

وقد لجأ الغرب الى هذين السلاحين الخطيرين بعد أن فشلت كل أسلحته للقضـاء على الاسلام ، وهما سلاحان يأتى تأثيرهما تدريجيا وبطريقة غير محسوسة ، ويتجهان الى ايجاد حالة تمرد من الشباب على الأسرة والمجتمع •

ويقول : « جانسون » : ان خطورة « الجينز » تأتى من أنها تلغى الفوارق والمزايا والاختلافات الفردية بين الجنسين ، وتلغى شخصية الفرد تماما فى نهاية الأمر .

وأعماق الحياة الزوجية كما أرادها الله من الفطرة هى : تفريغ عاطفى وجنسى تستمتع به الأنثى من شخصية الرجل ، ويستمتع به الرجل من شخصية الأنثى . فاذا ذابت الفوارق بين الجنسين ، وألغيت شخصية كل منهما تماما بقى هذا الفراغ الهائل فى داخل الرجل والمرأة دون أى شىء يملؤه .. ومن ثم يلجأ الجنسان الى الشذوذ لملء هذا الفراغ ، وهما لا يحصلان على نتيجة من هذا الشذوذ ، فيلجآن الى الاغراق فى المسكرات والمخدرات وأقراص الهلوسة ، والمشمومات وغيرها مما ينقل الانسان الحائر من دنيا الوقع الى دنيا خيال كلها ملل ينتهى الى الانتحار ، وهو الأمر الذى تشكو منه الشعوب التى صدرت الى العالم الاسلامى هذه البدع .

* * *

أقول وأعيد القول : ان كل البدع المستوردة انما تهدف الى تحطيم كيان الأسرة الاسلامية ، وكل التشريعات الاسلامية انما تهدف الى قوة بنائها ، ابتداء من الزوجين فى صورتهما الفطرية المنطلقة فى اطار الزوجية الشرعية الذى يحترم مشاعر كل من الزوجين وعواطفه ، ويحوطهما بالرعاية والحماية والسرية ، كما يزودهما بمقوماتهما الطبيعية الفطرية غير المصنوعة .

فاذا كان بين شباب الاسلام من يجرى وراء البدع المستوردة ، فان « جانسون » يرى أنها بدع أشد تهديدا

وفتكا بالمجتمع الاسلامى من التحديات الضخمة السافرة التى تأخذ شكل زيادة الاتجاه نحو التحضر والتصنيع والتقدم التكنولوجى ومجتمع الوفرة والاستهلاك ، وكلها أسلحة فتاكة لا يدرى المسلمون بفعلها الخبيث فى مجتمعهم .

ثم أقول : ان كل ما يستهوى المرأة فى الرجل انما هى القوة التى تنبض بها شخصيته ، وليس التخنث الذى يفوح من شخصية المتشبه بالنساء . وقد كانت تلك القوة هى التى دفعت ابنة شعيب عليه السلام الى ابداء رغبتها الى أبيها أن يستأجر موسى عليه السلام قائلة . **« يا أبت استأجره ، ان خير من استأجرت القوى الأمين »** . (القصص : ٢٦)

فاذا ظن الشباب أنه بتخنثه يستهوى زوجته أو من يريد الزواج بها فهو خاطىء كل الخطأ ، وانما هو يدفعها بذلك الى البحث عما يملأ فراغها خارج بيت الزوجية ، وتلك هى مصيبة العصر التى انحدرت الى عالم الاسلام بوساطة الجهلاء من المسلمين الذين يملكون المال ، وليس أشر على أمة فى الأمم من مال فى أيدى الجهلاء .

والتخنث خلل وفساد فى شطر من شطرين لابد أن يختلفا فى المظهر والسمات ليمكن اندماجهما فى وحدة اللباس والسكن ، وينتج عنهما المودة والرحمة .. وهذا الخلل يجعل هذا الاندماج مستحيلا كما يستحيل أن يندمج الموجب مع الموجب ، أو السالب مع السالب من الكهرباء لينشأ عنهما النور .

* * *

اللقـــاء الجنسى

حقيقة الشبق الجنسى :

يقول علماء الطب : ان الشبق الجنسى ما هو الا جوع عضوى كالجوع الى الطعام يمكن اشباعه بمجرد اللقاء بين زوج وزوجة .

ونقول : انه قد يحدث اللقاء بين زوج وزوجة ، ويتم اللقاء من الناحية الشكلية ، ويفتر الشبق قليلا بعد هذا اللقاء ، ولكن الجوع الجنسى يبقى كما هو ، بل يزداد الزوجـــان أو أحدهما تطلعا الى اشباع من نوع آخــر غير مجرد الافراغ الجنسى العابر .

وهذا يدل على أن الشبق الجنسى ليس جوعا عضـــويا كالجوع الى الطعام ، بل يشبعه شىء آخر غير مجرد الافراغ .. ولو كان مجرد جوع كالجوع الى الطعام لكانت أى امرأة كافية للرجل ، ولكان أى رجل كاف للمرأة ، ولكن الواقع يشهد بأن نفوس الرجال تعاف البعض وتميل الى البعض ، وكذلك نفوس النساء مما يؤكد أن الشبق جوع ولكنه ليس عضويا ، وأن هناك شيئا زائدا على الشبع العضوى لا يتم الاشباع الا به . وهذا الشىء الزائد هو الصفات الدافعة للزوج الى اختيار الزوجة ، والزوجة الى اختيار الزوج .

انه الشىء الذى حث رسول الله صلى الله عليه وسلم الراغبين فى الزواج من أجله على نظر بعضهم الى بعض قبل العقد ، وعلل هذا النظر بقوله : « فانه أحرى أن يؤدم بينكما »

وقال فى حديث آخر : « ... ان استطاع أن ينظر الى ما يدعوه الى نكاحها فليفعل » .

انه الجاذبية بين الزوجين ، تلك الجاذبية التى لا ترتبط بالجمال الشكلى بأى رباط ولا آصرة ، وانما هو موجات سحرية تنبعث من التركيب العام ، والحركة العامة لأى من الرجل والمرأة نحو الآخر ، فتدفعه نحو صاحبه فى محاولة للاندماج المشبع ولو لم يكن هناك لقاء بالفعل .

قد يكون هذا الجاذب فى المرأة للرجل جمال التركيب فى جسدها ، وقد يكون فى سحر عينيها ، وقد يكون فى جمال صوتها وسحر حديثها ، وقد يكون فى دلها ونبض جسدها الصامت بالغواية والاغراء ، أو هو مجموع هذه الاعتبارات مجتمعة . وقد يكون الجاذب فى الرجل للمرأة رجولته التى ينبض بها جسده ، وقد يكون فى رزانته ، وقد يكون فى خفته ، وقد يكون فى شعورها بسلطانه والأمن الى جواره ، وقد يكون فى قلبه الحانى ، وقد يكون وهو الغالب فى احساسها بأثرها الفعال فى نفسه وقلبه ، وسلطان أنوثتها على رجولته سلطانا ينعكس عليها بالقوة والحنان معا .

من أجل هذا لم تكن عملية اللقاء الجنسى هى نهاية المطاف فى أى زواج ناجح ، وانما المقصود هو : خلوة يتم فيها استمتاع كل من الجنسين بكل ما يستهويه فى الآخر من السمات والصفات قبل اللقاء الذى يحد من شدة الهياج عند الطرفين ، ولا يحد من جوع الجسد الى الجسد ، والعاطفة للعاطفة ، والأنوثة للذكورة ، والذكورة للأنوثة ، فهو جوع دائم قبل اللقاء وبعده

وفى كل حال من الأحوال لا يسكته الا السكن بين كل منهمــا والآخــر •

فالشبق الجنسى على هذا فوق أنه سر من أسرار الله تعالى هو : جوع الرجل الى كل المرأة ، وجوع المرأة الى كل الرجل ، يحد من ثورانه اللقــاء الجنسى ولا يقضى عليه ؛ فاللقاء الجنسى عامل من عوامــل التهدئة ، وليس عامــلا من عوامل الاشباع ، وانما يكون الاشباع مرهونا باستجابة كل من الرجل والمرأة الى دوافع الاغــراء والجذب فى الآخــر استجابة استغراق مقترنة باتساع دائرة الخيال وانطلاقه دون حاجز ولا حاجب من حياء ولا وقار •• هو أن يتوافق الزوجان مع المسخرات الكونية فى عمل ينسيان فيه نفسيهما ، ويخضعان فيه للتسخير الالهى المطلق •

ولهذا نجد أن التشريعات الاسلامية تتجه نحو تشجيع كل من الزوج والزوجة على تحقيق ذاته تحقيقا كاملا فى هذا اللقاء ، والا فان الكبت بما يصحبه من أمراض عضوية ونفسية يكون أمرا محقق الوقوع • وما الكبت الا ابطــال لوظيفة عضوية أو وجدانية مكلفة بالعمل لتحقيق غاية وغايات تتصــل برسالة الخلافة الانسانية على الأرض •

الاستمتاع دون جمــاع أثناء الحيض :

ولو كان المراد من اشباع الشبق الجنسى هو الجماع بذاته وحده لمــا شرع الاستمتاع بما دون الفرج من الحائض أثناء حيضها ، لأن جماعها حينئذ حرام ، والقرب منها لا يؤدى الغرض المقصود ، وربما أوقع فى الحرام •

ولكن الشخصية السوية المستقيمة تتطلب اشباعا آخر غير الاشباع الناشىء من اللقاء الجنسى ، هو ما أشرنا اليه فى الفقرة السابقة ، وهو ما شرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفعله بنفسه تشريعا للأمة فى كل زمان ومكان ، وحفظا للعفاف بين الرجال والنساء على درجة قوية تتحدى نزغات الشيطان ، وزيغ العيون ، وميل القلوب الى ألوان الجمال التى اختلفت باختلاف الأذواق واختلاف البصمات فى البنان .

وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم سلوك الزوجين بعضهما مع البعض أثناء حيض الزوجة فقال فى حديث أنس الذى أخرجه مسلم وأبو داوود : « ... واصنعوا كل شىء الا النكاح » . أى الا الجماع .

وأخرج الشيخان عن عائشة أنها قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر احدانا اذا كانت حائضا أن تتزر ، ثم يضاجعها . وقالت مرة : يباشرها » . والمراد بالمباشرة هنا كما جاء فى « النهاية » لابن الأثير الملامسة ، أى لمس بشرة الرجل بشرة المرأة . أى يستمتع بجسدها على أى وجه غير الجماع .

ولم يكن الرجال وحدهم هم المتطلعون الى هذا النوع من الارواء ، بل كان النساء يسألن عنه . وقد ذكر ابن سعد أن الصهباء بنت كريم سألت عائشة : ما للرجل من امرأته اذا كانت حائضا ؟ قالت : « كل شىء الا الجماع » .

وأخرج البيهقى عن بعض أزواج النبى صلى الله عليه وسلم قال : « كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا أراد من الحائض شيئا ألقى على فرجها ثوبا ثم صنع ما أراد » .

ومع هذا فقد حرم القرآن والسنة جماع الحائض • فقال تعالى : « **فاعتزلوا النساء فى المحيض** » (البقرة : ٢٢٢) يعنى: اعتزلوا جماعهن • ونهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن جماع الحائض فقال فيما أخرج أبو داوود والترمذى : « من أتى حائضا أو امرأة فى دبرها ، أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد » •

من هذه النصوص تظهر لنا حقيقتان :

أولاهما : أن العلاقة الجنسية بين الزوجين لا تقتصر على مجرد اللقاء الجنسى وهو الجماع ، ولا يكون الشبق الجنسى قاصرا على الرغبة فى الجماع ، بل ان العلاقة الجنسية والشبق الجنسى هو مجموع أعمال من أعمال الاستمتاع المشتركة بين الذكورة والأنوثة ومنها الجماع • أى هو جوع الذكر الى الأنثى وجوع الأنثى الى الذكر بكل مقوماتهما •

والثانيــة : أن هذا التفسير الذى تؤيده السنة العملية لرسول الله صلى الله عليه وسلم يحقق ذاتية الأنثى بالنسبة للرجل ، وهذا التحقيق يدفع المرأة دفعا قويا الى حب زوجها •• فالزوجة يســعدها ويشجعها أن تعــلم أن زوجها لا يريدها للفراش الجنسى فقط ، وانمــا يريد منهــا الائتناس بها ، والاستمتاع بمميزاتها المتفوقة فى الأنوثة فى نظره ، حتى فى الحالات التى تدعو الى النفور والتقزز وهى حالة الحيض •• ولا شىء يؤلم المرأة نفسيا قدر ما يؤلمها يقينها بأنها مرغوبة للجماع وحده دون اعتبار زائد عليه • وهذا دليل آخر على أن الشبق الجنسى أمر مركب من الجماع وغيره من العوامل الجاذبة لكل من الزوجين نحو الآخر ، وليس هو الرغبة فى

الجماع وحده الا عند انسان تنزع طباعه نحو طباع الحيوان الأعجم المحروم من أحاسيس الانسانية الرفيعة .

ومن الظواهر المؤكدة أن الكثير من الزوجات يسرهن ويسعدهن أن تكون خلوة زوجهـا معها فى بعض الأحايين قاصرة على كل أنواع الاستمتاع ما عدا الجماع ، حتى تتأكد من أنها مرغوبة من زوجها لذاتها ، ومن أنها تملك قدرا كافيا من المغريات لزوجها غير الجماع . فاذا تأكدت أنها لا تملك مما يغرى زوجها بها الا الجماع انقبضت عنه ، وتغيرت نظرتها اليه ، وفتر حبها له ، الا اذا كانت هى الأخـرى من النوع الحيوانى الذى لا يتمتع بأحاسيس الانسانية الرقيقة ، ولا يملك من دوائر الخيال ما يحقق ذاتية الأنثى .

حرية النظـر الى العورات وتحسسها :

شاع بين الناس من المتوقرين أن نظـر الزوج الى عورة زوجته والزوجة الى عورة زوجها أمر غير محبوب فى شريعة الاسلام ، فضلا عما هو فوق النظر من التحسس والعبث المباح .

واستند هؤلاء الى أحاديث منها :

١ ــ حديث عائشة عند الطبرانى : « ما رأيت عـورة رسول الله صلى الله عليه وسلم قط » . وقد أبطل الحـافظ ابن حجر هذا الحديث حين ترجم لأحد رجال سنده وهو « بركة بن محمد الحلبى » . لأنه كذاب وضاع . وفى بعض أسانيده « أبو صالح بازام » وهو ضعيف ، و « محمد بن القاسم الأسدى » وهو كذاب .

وعلى هــذا الحديث يحمل حديث : « ما رأيت منه ولا رأى منى » الذى روته عائشة •

٢ ـــ حديث : « اذا جامع أحدكم زوجته فلا ينظر الى فرجها ، فانه يورث العمى » • وهو حديث موضوع كما قال ابن الجوزى وأبو حاتم الرازى وغيرهما •

وفى مواجهة هذه الأباطيل جاءت أحاديث صحيحة تبيح النظر والتحسس لكل من الزوجين الى عورة الآخر ، ومنها :

١ ـــ الحديث السابق الذى ذكرناه عن عثمان بن مظعون حين شكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حياءه من النظــر الى عورة زوجته ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كيف وقد جعلها الله لك لباسا ، وجعلك لها لباسا » ؟ قال : انى أستحيى من ذلك • قال : « فانى أفعله ، وهن يفعلنه » •

٢ ـــ حديث معاوية بن حيدة عند الترمذى وأبى داوود وابن ماجه أنه قال : قلت : يا رسول الله •• عوراتنا ، ما نأتى منها وما نذر ؟ قال : « احفظ عورتك الا من زوجتك أو ما ملكت يمينك » • وهذا نص فى اباحة النظــر الى العورات بين الزوجين •

٣ ـــ حديث عائشة عند الشيخين قالت : « كنت أغتسل أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم من اناء بينى وبينه واحد ، فيبادرنى حتى أقول له : دع لى ، دع لى • وهما جنبان » • واستدل الفقهاء بهذا الحديث على جواز نظر كل من الزوجين الى عورة الآخر • وقد سئل سليمان بن موسى عن الرجل ينظر الى عورة امرأته فقال : سألت عطاء فقال : سألت عائشة فذكرت هذا الحديث •

والمتأخـرون يحلو لهم أن يتمسـكوا بهذه الأحاديث الموضوعة أو الضعيفة التى لا يحتج بها ، ويضـعوا اللقاء الجنسى بين الزوجين فى صورة صامتة مظلمة تتفق تمام الاتفاق مع الصورة التى يمارسه عليها البدو مع زوجاتهم ، ومع الصورة التى يعامل بها بعض المتنطعين كل النساء فى بيوتهم زوجات كن أو بنات ، فلا يدخـلون كل مستطيل من الخضر أو الفاكهة الى منازلهم الا بعد تقطيعه قطعا صغيرة يفقـد بها صفة الاستطالة ، وذلك خوفا من أن يستعملنه فى قضاء مآرب جنسية •

وهذا التفكير عجيب كل العجب ان دل على شىء فانما يدل على تقصير واضح من الأزواج نحو الزوجات فى الممارسة الجنسية ، وفى حرية الانطلاق أثناءها ، نشأ عنه رد فعل حتمى من الزوجات للأزواج ، حتى فقد الأزواج ثقتهم بالزوجات على هذه الصورة المزرية والوضيعة فى المعـاملة المنزلية •• انه تعفن فى الفكر أدى بهؤلاء الى اعتقاد أن الخيار والباذنجان والموز وأشباهها يغنى عن الفطرة التى خلقها الله فى الانسان • وأظلمت عقول هؤلاء فابتعدوا عن السنة النبوية وهجروها عن عمد وغباء وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا •

ونقول من منطلق الصراحة فى الدين ، وعدم الحياء فيه ، والحفاظ على الأعراض من أن تجنح الى حرام ، وعلى عيون النساء وقلوبهن أن تهفو الى غريب ، نقول : ان مفهوم السنة هو : حرية استمتاع كل من الزوجين بالنظر الى عورة صاحبه وتحسسها ، والعبث بها ، وكل يؤدى الى تهيئة كل منهما للقاء جنسى ناجح يعقبه اشباع واعفاف كاملان غير منقوصين •

وقد نقل الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى عن ابن عروة الحنبلى فى كتابه المخطوط « الكواكب الدرارى » قوله :

« ومباح لكل واحد من الزوجين النظر الى جميع بدن صاحبه ولمسه ، حتى الفرج ، ولأن الفرج يحل له الاستمتاع به ، فجاز النظر اليه ولمسه كبقية البدن . وهذا مذهب مالك وغيره ، فقد روى ابن سعد عن الواقدى أنه قال : رأيت مالك بن أنس وابن أبى ذئب لا يريان بأسا ، يراه منها وتراه منه » .

ولكن ابن عروة أبى الا التخليط فى الأحكام ، فقال : « ويكره النظر الى الفرج ، فان عائشة قالت : « ما رأيت فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم » . وهو حديث باطل من جهة السند كما رأينا ، وغاب عن ابن عروة حال الحديث ، كما غاب عن الحنابلة فى جملتهم .

وقد نشأ الخلط من سوء فهم بقية حديث معاوية بن حيدة السابق اذ قال : يا رسول الله .. اذا كان أحدنا خاليا ؟ فقال : « الله أحق أن يستحيا منه » .

وفرق واضح بين الحكم فيما اذا كان الانسان يغتسل عريانا وحده فى الخلوة ، وفيما اذا كان الانسان يمارس علاقة مشروعة عليها يقوم بناء الانسان السليم من العلل النفسية ، والمجتمع البرىء من الاضطراب الناشىء عن الكبت ، ومن علة التنافر الناشئة عن انعدام المودة والرحمة .

على أن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم محمول على الندب كما قال الأئمة ، ومنهم الشافعى وابن جرير الطبرى ،

وعبد الرؤوف المنوى ، لاسيما وقد ساق البخارى هذا الحديث تعليقا فى باب « من اغتسل وحده عريانا » وذكر حديث أبى هريرة فى اغتسال موسى وأيوب عليهما السلام فى الخلاء عريانين .

فهذه الجملة تبين حكم الانسان منفردا ، واباحة النظر تبين حكم تصرف انسان يتعلق بتصرفه حق الغير فى مسألة حيوية بالغة الخطورة فى حياة المسلمين ، وهى العفة والاعفاف .

ويبدو أن جدلا طويلا قد ثار حول هذا الموضوع بالنسبة لفرج الزوجة بالذات . فبينما نرى ابن العربى المالكى يكره أن ينظر الرجل الى فرج امرأته ، يرى الامام أصبغ : أن له أن يراه ويتحسسه كما يشاء . هكذا نقل ابن قدامة فى المغنى والسيوطى فى « رقائق الأترج » .

حرية التجرد من الملابس :

وتجرد الزوجين من ملابسهما عند اللقاء الجنسى ، أو عند الخلوة بينهما دون لقاء مسألة تخضع للذوق ، ولا تعارضها السنة ، ولا يمقتها القرآن .

فالله تعالى يقول : « **نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم** » (البقرة : ٢٢٣) . يعنى : على أى حال شئتم . والتجرد من الملابس حال من الأحوال التى يحلو لبعض الأزواج أن يمارسها ، فهو داخل فى عموم الآية .

والرسول صلى الله عليه وسلم تجرد عن ملابسه هو وعائشة رضى الله عنها وهما يغتسلان كما ذكرنا من حديث الشيخين فى الفقرة السابقة ، وعليه فتجرد كل من الزوجة

والزوج أمام الآخر عمل غير ممقوت فى السنة ، وان كان لم يثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه فعله أثناء اللقاء فان ذوقه الرفيع هو المانع له من ذلك ، لا تحريمه فى الشريعة ، بل نقول : ان حب أمهات المؤمنين الشديد للرسول صلى الله عليه وسلم كان يغنى عن هذا العمل من جانبه ، ولو احتاج اليه الرسول من زوجاته لفعله صلى الله عليه وسلم • ولو كان التجرد فى ذاته ممقوتا فى الشريعة لما تجرد صلى الله عليه وسلم هو وعائشة أثناء الغسل ، ولاغتسل منفردا ، واغتسلت منفردة •

وقد أورد بعض العلماء حديثا ينهى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التجرد أثناء اللقاء الجنسى بين الزوجين هو : « اذا أتى أحدكم أهله فليستتر ، ولا يتجردا تجرد العيرين » •

وقد تتبع الشيخ ناصر الدين الألبانى سند هذا الحديث بما يوهنه ويفقده حجيته فى هذه المسألة ، ونحن نسوق كلامه فيه ، لعل فيه بلاغا لمن يريدون السنة الصريحة ، قال :

« أخرجه ابن ماجه عن عتبة بن عبد السلمى ، وفى سنده الأحوص بن حكيم ، وهو ضعيف ، وبه أعله البوصيرى ، وفيه علة أخرى ، وهى : ضعف الراوى عنه ، الوليد بن القاسم الهمدانى ، ضعفه ابن معين وغيره ، وقال ابن حبان : انفرد عن الثقات بما لا يشبه حديثهم ، فخرج عن حد الاحتجاج به • وجزم العراقى فى تخريج الاحياء بضعف سنده • وأخرجه النسائى فى عشرة النساء ، والمخلص فى الفوائد المنتقاة ، وابن عدى عن عبد الله بن سرجس ، وقال النسائى : حديث

منكر ، وصـــدقة بن عبد الله أحـــد رواته ضعيف • ورواه ابن أبى شيبة عن أبى قلابة مرفوعا وهو مرسل ، وأخرجه الطبرانى ، والعقيلى فى الضعفـــاء ، والبيهقى فى سننه عن ابن مســـعود ، وضعفه البيهقى بقوله : تفرد به مندل بن على وليس بالقوى • ثم ذكره بنحوه من حديث أنس وقال : انه منكر » ا • هـ •

فالحديث كما نرى مهلهل السند ، فوق نكارة متنه ، اذ الأمر بالاستتار حياء من الله معناه أن الله لا يراهما وهمـــا مستتران ، وهو قول ساقط ، وكيف يستتران من عمل هو من القربات الى الله بنص الحديث ، يؤجر الزوجان على اتيانه على وجه الكمال ، وربما كان وجه الكمال عند البعض على هذا الحال ، وهو التجرد •

ونحن لا ننكر أن الملابس الجميلة تضفى على الزوجين جمالا ، وتبرز جمالا ربما كان خافيا بدون اللباس ، ولكن لنفترض أن شابا كان متهتكا قبل زواجه ، ورأى من صناعة الفاجرات هذا الصنيع أول ما رأى فأعجبه ، أفنمنعه ذلك وهو مباح فى الأصل حتى يعود الى تهتكه بحجة الاحتشام ؟ أو أن زوجا كان مستقيما ولكنه يعجبه جسد زوجته عاريا ، أفنحرمه العفة بحجة الاحتشام ؟ حاشا لله ، فما كان للشريعة وهى تبيح له الفرج نفسه مكشوفا أن تمنعه الجسد •

حرية المداعبة والملاعبة :

جاء فى السنة : أن المداعبة بين الزوجين مقصودة من اجتماعهما على هذا الوجه الشرعى المبارك •

فعند الشيخين عن جابر أنه تزوج امرأة ثيبا ، فقال له

رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تزوجت يا جابر » ؟ قال : نعم .. قال : « أبكر أم ثيبا » ؟ قال : بل ثيبا . قال : « فهلا بكرا تلاعبها وتلاعبك ، وتضاحكها وتضاحكك » ؟ .

فالملاعبة بين الزوجين أمر مشروع بهذا الحديث ، وحصره فى البكر دون الثيب هنا ليس معناه ألا يداعب الزوج زوجته الثيب ، وانما هو : أن البكر أشد حياء من الثيب عند اللقاء ، والمداعبة مع الحياء أشد امتاعا وايناسا فى الذوق الرفيع . كما أن البكر لم تجرب الرجال من قبل ، فهى معجبة بمداعبة زوجها ، وتختلف مداعبتها عن مداعبة الثيب التى تحتاج الى خبرة بنفسيتها وبما يعجبها مما لم يكن عند زوجها الأول .

وفى حديث الترمذى أنه صلى الله عليه وسلم قال : « لا يقع أحدكم على أهله كما تقع البهيمة ، وليكن بينهما رسول : القبلة والكلام » .

وعند الطبرانى عن عائشة أنه صلى الله عليه وسلم كان يقبل نساءه .

وعنده عنها : أنه صلى الله عليه وسلم كان يمص لسان عائشة .

وأصل ذلك كله فى القرآن قوله تعالى : « **زين للناس حب الشهوات من النساء** » . (آل عمران : ١٤) .

فجعل المرأة بكل جسدها وروحها وانفعالاتها شهوة حببها الله للناس بحكم الفطرة ، فلا عار ولا عيب فى اعلان الرجال حبهم للنساء فى جملتهن وتفاصيلهن ، بل هو المسايرة الكاملة للفطرة ، والتورع عن اعلانه معاكسة للفطرة ومصادرة لها ، بل هو مصادرة لحكم الله على عباده بهذا الحب . ومن

ثم كان قوله صلى الله عليه وسلم : « حبب الى النساء .. » .
قولا صادقا ، وصراحة فطرية ، لا يخالفها الا لئيم الطبع ،
مدخول فى دينه ، مشوه فى عقله ، واحساسه ، مكذب بما أنزل
على رسول الله من الوحى ، أو ناقص التكوين يدارى نقصه
بهذا الزهد الكاذب فيما حببه الله الى الناس .

ونحن نلاحظ من الكتاب والسنة أن حب شهوة النساء
يبدأ من الرجل ، كما أن الاستمتاع والمداعبة يبدآن من الرجل
كذلك ، فهل يعنى ذلك أن المرأة لا تحب الشهوات من الرجال ،
وأنها لا تحب الاستمتاع بالرجل ومداعبته ؟ .

بلى .. انها تحب الاستمتاع بالرجل هى الأخرى وتهوى
مداعبته ، ولكنها بحكم ما ركب الله فيها من الحياء لا تستطيع
أن تكون بادئة .. فالمبادرة من الرجل ، والانفعال منها ، ويتبع
الانفعال أن تعبر هى الأخرى عن صدقها ورغبتها فى الاستمتاع
بالرجل .

أى أن المرأة منفعلة فاعلة .. منفعلة بما يبادرها به
زوجها من الملاعبة ، فاعلة فيه بتجاوبها لملاعبته ، وتعبيرها عن
استمتاعها بها ، وفعلها فيه حينئذ هو اثارته وتشجيعه على المزيد
من الملاعبة ، وعلى استغراقه فى جمـال ما تبديه من المشاعر
والأحاسيس ، وبتكرار الفاعلية من الرجل ، والانفعال من
المرأة وفاعليتها فيه تبدأ المرأة ملاعبة زوجها ، والتعبير الصادق
عن أنوثتها ، وذلك حينما ينجح الزوج فى تخفيف ستار الحياء
أو رفعه .

فالرجل هو المسئول الأول عن نجاح هذه المقدمات فى أداء
دورها فى انجاح العلاقة الجنسية ، ما دامت المرأة قد تهيأت

لزوجها بكل المقومات التى شرحناها ، ولهذا وجدنا الواقع يؤكد أن المرأة فى الحقيقة تنجح فى أداء دورها بمقدار ما ينجح زوجها فى مبادرتها بالملاعبة ، وحملها على الاستجابة له ، والتعبير عن مكنون مشاعرها • فهى تنتظر ما يبادرها به ، وتخجل أن تعترض على ما لا يعجبها منه ، ومن هنا كان على الرجل أن يكون ذكيا فى تلمس ما يعجبها ، ويركز عليه ، حتى ينتهى الى الاعفاف المشروع ، والى امتـــاع نفسه وزوجته الامتاع المشروع •

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول فى الملاعبة : انها القبلة والكلام •

والترتيب النبوى بين القبلة أولا ، والكلام ثانيا مقصود تماما • فقد كان صلى الله عليه وسلم يبدأ نساءه بالقبلة أولا •• على هذا تجمع مصادر السنة فى أبواب عشرة النساء ، لا سيما « مجمع الزوائد ومنبع الفوائد » • الذى جمع فأوعى فى هذا الباب • أما كيف تكون القبلة ، فقد ترك هذا لكل زوجين حسبما يؤدى اليه طوقهما ، وتقتضيه طبيعتهما • ولكنا نؤكد أن القبلة الحالمـــة الطويلة التى تستهدف الشفتين مع التزام بعضهما البعض جســـديا ، وتبادل الأنفاس والنظرات المعبرة أحيانا ، وتحسس أماكن الاثارة هى أول عمـــل ناجح يريح الزوجة نفسيا ، ويؤنسها عاطفيا ، ويشجعها على الاستجابة ، ويمكن الزوجين من ارواء عاطفى عميق •

والقبلة لا تقتصر على الشفتين والوجه بحـــكم عمومها ، وعموم النصوص ، بل يمكن أن تتعداه الى أى موضع من الجسد يكون للعاطفة نحوه اهتزاز وميل • ويأتى أثناء ذلك وبعده : الكلام •

والكلام الوارد فى الحديث ليس هو الكلام العادى فى شئون الحياة والمعيشة الزوجية ، بل هو الكلام الذى يتعلق بالعلاقة الجنسية وحده •

ومستندنا فى ذلك اللغة والآثار •

أما اللغة فما يدل على الكلام الجنسى من ألفاظها كثير نختار منه :

١ — (**الرفث**) • قال ثعلب فى أماليه : الرفث : الجماع ، والرفث : الكلام عند الجماع • وقال الجوهرى فى الصحاح : الرفث : الجماع • والرفث أيضا : الفحش من القول ، وكلام النساء فى الجماع • قال العجاج :

وربـ أسراب حجيج كظم عن اللغا ورفث التكلم

وقال ابن عباس : انما الرفث : ما ووجه به النساء • وقال الأزهرى : الرفث كلمة جامعة لكل ما يريد الرجل من المرأة •

٢ — (**الغنج**) • وفى كتاب الأفعال لابن القرطبية : غنجت الجارية غنجا : حسن تشكيلها • وفى القاموس : الغنج بالضم هو : الشكل بكسر الشين • والتبغنج أشد من التغنج • وفى المحكم لابن سيده : امرأة غنجة حسنة الدل ، وغنجها : شكلها •

٣ — (**الشكل والدل والدلال**) • قال الجوهرى : الشكل بالكسر : الدل • يقال : امرأة ذات شكل • وقال ابن دريد : الدلال من قولهم : امرأة ذات دل ، أى شكل • وأنشد قول الراجز :

قد قرنونى بعجوز جهمرش كأنما دلالها على الفرش
من آخر الليل كلاب تهترش

٤ ــ (**الهلوك**) • قال ابن فارس : امرأة هلوك اذا تهالكت فى غنجها كأنها تتكسر • ولا يقال رجل هلوك • واللعوب الحسنة الدل •

٥ ــ (**العرابة والاعراب**) قال ابن القرطبية فى كتاب الأفعال : عربت المرأة اذا تحببت الى زوجها • وفى الصحاح : ومنه قوله تعالى : « **عربا أترابا** » (الواقعة : ٣٧) • وأعرب الرجل اذا تكلم بالفحش •• وقال ابن الأثير فى النهاية : العرابة : التصريح بالكلام فى الجماع • ومنه حديث : « لا تحل العرابة للمحرم » • وفى القاموس : الاعراب : الفحش وقبيح الكلام •

وفى تفسير عبد بن حميـــد « عربا » يعنى مغنوجات • والعربة : الغنجة • وقال ابن جرير : « عربا » : غنجات • وقد سئل عبد الله بن عمير عن معناه فقال : أما سمعت أن المحرم يقال له : لا يعربها بكلام يلذها به وهى محرمة •

هذا قليل من كثير ، ونخلص منه الى أن الكلام المقصود فى الحديث هو ما تقتضيه اللغة ، وتشهد له الآثار عن كبار العلماء ، وهو : فاحش الكلام وصريحه يوجهه الرجل الى امرأته فى موضوع اللقاء الجنسى ، مما لا يجوز أن يقال فى غير هذا المقام ، وهو استجابة المرأة لزوجها بالتدلل والاعراب والشكل وغيره من معانى الألفاظ التى أوردناها ، مما يقصد به اثارة الشبق ، وامتاع كل من الزوجين للآخر •

وقد ألف الامام السيوطى كتابا جامعا فى هـذا الباب سماه « رقائق الأترج » ما زال مخطوطا ، وقد أراد به كما يقول بيان الحكم الشرعى لهذا العمل ، وزاد عليه من الفوائد ما لا يجده القارىء فى غيره ، كما ألف التيجانى كتابا حافلا سماه « تحفة العروس » فى هذا الباب ، وقد طبع منذ زمان .

فالكلام الصريح الفاحش فى موضوع الجماع ، والموجه الى الزوجة ، ورد الزوجة على الزوج بمثله وبالشكل والتدلل والتهالك والعرابة عمل مشروع فى الاسلام بنص القرآن على حل الرفث ، وبكون هذه الصفات من صفات نساء الجنة ، كما هو مشروع بنص الحديث الذى ذكرناه أول هذه الفقرة ..

فلا وجه لمن قال من متأخرى الفقهاء بالصمت المطبق عند اللقاء الجنسى ، الى جانب الاظلام التام ، وغير ذلك من الأعمال التى تتنافى مع الفطرة ، وتكبت المشاعر الانسانية ، ولا تنتهى بالفطرة الى غايتها المشروعة .

حرية الوضع الجسدى أثناء الجماع :

حدث تضارب شديد بين عادات المهاجرين وعادات الأنصار فى الوضع الجسدى للزوجة أثناء اللقاء الجنسى ، وأدى هذا التضارب الى نزاع بين الزوجات وأزواجهن ، وكان الوحى فيصلا فى هذا النزاع ، حدد الطريق ، وأتاح للأزواج حرية الوضع الجسدى على أى حال يتطلبه الذوق الخاص لكل زوجين .

قال ابن عباس فيما أخرج الحاكم والبيهقى وأبو داوود :

كان هذا الحى من الأنصار وهم أهل وثن مع هذا الحى من يهود وهم أهل كتاب ، وكانوا يرون لهم فضلا عليهم فى العلم ، فكانوا يقتدون بكثير من فعلهم ، وكان من أمر أهل

الكتاب ألا يأتوا النساء الا على حرف (يعنى على جنوبهن) • وذلك أستر ما تكون المرأة ، فكان هذا الحى من الأنصار قد أخذ بذلك من فعلهم ، وكان هذا الحى من قريش (هم المهاجرون) يشرحون النساء شرحا منكرا ، ويتلذذون منهن مقبلات ومدبرات ومستلقيات ، فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم امرأة من الأنصار ، فذهب يصنع بها ذلك ، فأنكرته عليه وقالت : انما كنا نؤتى على حرف ، فاصنع ذلك والا فاجتنبنى ، حتى شرى أمرها (يعنى عظم واشتد) فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزل قوله تعالى : « **نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم** » [البقرة : ٢٢٣] يعنى مقبلات ومدبرات ومستلقيات فى موضع الولد •

وقالت أم المؤمنين أم سلمة رضى الله عنها فيما أخرج أحمد والبيهقى :

لما قدم المهاجرون المدينة على الأنصار تزوجوا من نسائهم ، وكان المهاجرون يجبون نساءهم (من التجبية وهى أن تضع المرأة يديها على الأرض ، وتنكب على وجهها وتقوم على ركبتيها) • وكانت الأنصار لا تجبى ، فأراد رجل من المهاجرين امرأته على ذلك ، فأبت عليه حتى تسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : فأتته فاستحيت أن تسأله ، فسألت أم سلمة ، فنزلت : « **نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم** » • وقال : « لا ، الا فى صمام واحد » • أى فى مكان واحد هو الفرج •

وكان اليهود من وراء ذلك يعتقدون كما أخرج الشيخان أن الرجل اذا أتى امرأته من دبرها فى قبلها كان الولد أحول ،

فنزلت : « **نسـاؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم** » •
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مقبلة ومدبرة ومستلقية اذا كان ذلك فى الفرج » •

وقال لعمر بن الخطاب فيما أخرج النسائى : « أقبل وأدبر ، واتق الدبر والحيضة » •

فالحرية مكفولة للزوجـين فى الشريعة الاسـلامية فى استمتاع كل منهما بأى وضع جسدى يريده ويهواه من صاحبه ما دام مكان اللقاء واحدا وهو الفرج فى غير الحيض •• وما يقال من أن أردأ أشكال الجماع هو أن تعلو الزوجة الزوج فانما ذلك اذا أنزل الزوج وهو على تلك الحالة فقط • أما الوضع الجسدى ذاته فهو من الأوضاع المرغوبة للزوجة ، لأنه وضع يكفل لها حرية الحركة على المواضع المثيرة لها ، والتى تصل بها الى قمة لذتها سريعا ودون جهد كبير من الزوج ، فاذا قارب الانزال عاد الى وضعه الطبيعى •

والقول بأن وضعا جسديا معينا أفضل من بقية الأوضاع التى يهواها الزوج فى الشريعة قول مناهض لنص القرآن العام المبيح لأى وضع يشاؤه الزوج ، ومناهض للسنة التى حددت الاقبال والادبار والاستلقاء كأمثلة لعمـوم الأوضاع وليس لحصرها •

وحجم الزوجة وطبيعة جسدها وذوقها ، وقـدرة الزوج الصحية ، وخبرته ، وذوقه ، هى الأمور التى تتحكم فى الوضع الذى يهواه الزوجان ويستطيعانه •

صدق العمل الجنسى :

أخرج ابن عساكر فى تاريخ دمشق أن بلال بن أبى بردة قال لجلسائه يوما : ما العروب من النساء ؟ فماجوا ، وأقبل اسحاق بن عبد الله بن الحارث النوفلى ، فقال : قد جاءكم من يخبركم ، فسألوه ، فقال : الخفرة المتبذلة لزوجها ، وأنشد :

يعربن عند بعولهن اذا خلوا   فاذا همو خرجوا فهن خفار

والخفر : الحياء الشديد . والتبذل : التهتك .

هذه هى صورة المرأة المسلمة فى حياتها الزوجية : أن تكون شديدة الحياء فى غيبة زوجها ، وأمامه اذا كان فى البيت غيرهما ، فاذا خلا كل منهما بالآخر نزعت ثوب الحياء .

وأشد ما تكون الزوجة تبذلا لزوجها عند الممارسة العملية للعلاقة الجنسية . فهى المرحلة التى يتحقق بها الاعفاف لكل من الزوجين ، وكسر شهواتهما أن تتطلع الى غير ما أحل الله لهما . ومن ثم كان لكل منهما أن ينطلق على سجيته ، وأن يروى ظمأه بالطريقة التى يهواها دون حرج ولا تحفظ .

وكان السلف يسألون الصحابة خوفا من أن يكون هناك محظور فى هذه المرحلة من العلاقة الزوجية . وقد سئل ابن عباس عن الشخير والنخير عند الممارسة الجنسية فقال : اذا خلوتم فاصنعوا ما شئتم .

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول فى هذه الحالة : « اذا جامع أحدكم زوجته فليصدقها (يعنى فليجامعها بصدق) ؛ فان قضى حاجته قبل أن تقضى حاجتها فليصبر حتى تقضى حاجتها » .

ولأن الناس يختلفون قوة وضعفا ، وخبرة وجهلا ، فقد اكتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتنبيه الى أهم عنصرين في العلاقة الجنسية : وهما : صدق العمل وجديته للوصول بالزوجة الى قمة شهوتها •

وما التشريعات السابقة من المداعبة وحرية الوضع الجسدى ، وحرية التبذل ، وحرية الكلام ، الا وسائل لتحقيق هذه النتيجة •

والاهمال في تحقيق هذه النتيجة يصل بالحياة الزوجية الى أوخم العواقب بل ان الاهمال في الوسائل هو الآخر يصل بالعلاقة الجنسية الى أسوأ حال • فقد ترتوى الزوجة جنسيا ولا ترتوى عاطفيا ، وقد ترتوى عاطفيا ولا ترتوى جنسيا ، وكلاهما شر مستطير على الحياة الزوجية •• ولذلك أكد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرجال في مقدمات الجماع كما أكد عليهم أن يصلوا بالزوجات الى قمة النشوة •

والذين لا يصلون بزوجاتهم الى قمة الشهوة هم المصابون بسرعة القذف • وسرعة القذف نوعان : نوع يقذف فيه الزوج قبل الوصول الى زوجته ، بل ربما بمجرد لمسها أو تقبيلها ، وهذا النوع يتعرض لحالة خطيرة هى الشلل الجنسى الذى ينذر بالعنة السريعة ، والكلمة فيه للطب ، فاذا لم يجد من الطب تقدما سريعا فلا أمل فيه •

والنوع الثانى لا يستطيع أن يستمر طويلا في العمل الجنسى ، وقد تكون الزوجة بطيئة •

ولم نجد فيما بين أيدينا من المصادر من تعرض لهذه

المشكلة بحل عملى سوى السيد مرتضى الحسينى الزبيدى فى كتابه « اتحاف السادة المتقين بشرح احياء علوم الدين » للغزالى قال :

« اذا كان الزوج سريع الانزال والزوجة بطيئة ، فعليه أن يطيل مداعبتها على الفراش ، ويكثر من التزامها (حضنها) ومص شفتيها ، والعبث بثدييهسا ، وتحسس أليتيها ، وأعلى ظهرها ، وجنبيها ، فاذا بدا عليها التغير دلك بظرها برأس ذكره الهوينى ، ويستمر على هذه الحالة دون ايلاج ، فاذا ارتعدت وتغير لونها ، وتقلص وجهها ، والتزمته ، أولجه رويدا رويدا حتى يصل الى الآخر ، ويحركه داخلها بشـدة دون اخراج (يعنى فى موضعه) ، فانه لا توجد امرأة بطيئة الا أنزلت فى هذه اللحظة • أما الأقويا فالله يهب ما يشاء لمن يشاء » انتهى •

ومن أخطر ما يفعله الأزواج أن يفارقوا الزوجات عقب الانتهاء من الممارسة وكأنهم أزاحوا حملا ثقيلا عن كواهلهم • فهنا تشعر الزوجة أن الزوج يريدها لمصلحته هو ، ولا يريدها لذاتها ، وهذا الشعور يهز حب الزوجة لزوجها هزا عنيفا ، وربما يقضى عليه •

والسلوك الصحيح هنا : ألا ينزع عقب الانزال ، فاذا فتر بقى الى جانبها محتضنا لها ، مستمرا فى ملاعبتها كما كان قبل الممارسة ، حتى يهدأ كلاهما ، فيقوم ولا يفارق المكان لبعض الوقت •

أما الأقوياء فانهم يطيلون زمان الممارسة كما شاءوا ، بشرط أن يحافظوا على السلوك الذى أوضحناه عند النهاية ولا يغفلوا عنه ، لابقاء الحب بينهما قويا نابضا بالحياة •

والممارسة الجنسية الناجحة لابد أن تجمع بين العنف واللين ممتزجين ، فتبدأ هينة لينة حانية رقيقة ، حتى تشتد رغبة الزوجة ، فعندئذ يكون العنف الممتزج بالحنان ، ويتردد بين هاتين الحالتين حتى النهاية • أما الاقتصـــار على لون واحد منهما فلا يعجب الزوجات ، ولا يرضى أنوثتهن •

على أن هناك ناحية يغفلها الكثير من الأزواج ، وهى ارضاء كبرياء الأنوثة عندهن ، فلا يعاملها جنسيا معاملة المتاع الممتهن ، بل يشعرها بقيمتها عنده ، وضرورتها له بأى أسلوب يتناسب مع شخصيتها ، ومع درجة اعتزازها بأنوثتها ، فتلك ثقافة يجب ألا تغيب عن الأزواج لـــدى أهميتها فى توثيق الروابط الزوجية ، وفى بقـــاء شخصية الزوجة قوية نابضة بالحيوية •

وعلى الزوجة أن ترعى هذه المشاعر فى زوجها تماما كما يرعاها هو فيها ، وسوف تكون نتائج الســـعادة الزوجية باهرة ان هما فهما ووعيا ، وسلكا هذا المسلك •

ومن المسلم به أن لكل زوجة مكانا خاصا يثيرها ، ويعجل بها الى قمة شهوتها ، سواء أكان هذا المكان فى داخل مكان الجماع ، أو فى ظاهر الجسد ، كالثديين ، أو الشفتين ، أو أى مكان يتحسسه الزوج ، فمن الخطأ ألا يبحث الزوج عن مكان الاثارة وطريقتها فى زوجته •

وقد تكون الأصوات المعروفة بالشخير والنخير مما أباحه عبد الله بن عبـــاس فى الأثر الذى ذكرناه • وقـــد أخـــرج

عبد بن حميـــد وابن المنذر فى تفاسيرهما كما نقل السيوطى فى تفسيره « الدر المنثور » أن معاوية بن أبى سفيان دعا زوجته « فاختة » الى نفسه ، فنخرت نخرة شهوة ، فاستحيت ، فقال لها : لا عليك ، فوالله لخيركن الشخارات والنخارات .

وروى السيوطى أن أحد القضاة جامع زوجته فتدللت ونخرت ، فنهاها عن ذلك ، فسكتت ، فلما أراد جماعها ثانيا قال لها : عودى الى ما كنت عليه (رقائق الأترج ورقة ٩/أ) .

* * *

خاتمـــة

وبعـــد •• فان الناس سوف يقفون من هذا الكتاب مواقف متباينة :

فمنهم : من يتقلص وجهه ، ويستغشى ثوبه ، ويستعيذ بالله جهلا وسخافة عقل قائلا : لقد عشنا مع زوجاتنا كيفما اتفق ، ولم نشعر بالمعاناة من التقصير ، ولا هفت نفوسنا الى تلك العلاقة الا شيئا عابرا نتخلص منه كما نتخلص من فضلات الطعام ، فلا حاجة للانسان بهذه التكاليف المعقـــدة التى لا جدوى منها •

وهؤلاء هم طوائف من الخلق تعيش كما تعيش الطفيليات بلا جذور ولا هدف ، وليس لهم مأرب فى بناء انسان متكامل يتخذ مكانه فى مسيرة ذات رسالة محددة • ولا علم لهم بدين ولا بدولة ، فهم يدينون بالاسلام على الطريقة الشعبية المـــائجة بالخرافة والأباطيل ، وهم مستهلكون كما يستهلك المتاع البالى فى البيت الخراب •

ومنهـــم : علماء أشرنا اليهم فى الفصل الأول ، وحاولنا أن نثير فيهم حمية الاتباع لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل ما قال وفعل وترك وقرر لأمته ، ونبهناهم الى أنه لا خير فى ابتداعهم نوعا من الأدب وهو من الأدب بعيد • فالأدب كل الأدب انما هو فى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم •

فادعائهم الزهد فى النساء كدعوى جهلة الصوفية الزهد فى الدنيا ليسرقوها من أصحابها فى نفس مجلس التزهيد سواء

بسواء .. وزهد الانسان فى شىء على فرض صدقه لا يبيح له أن يهدم كل ما جاء فى الحث عليه من السنن .

ونقول لهؤلاء : ان شرهم على مجتمع الاسلام لا يعدله شر من شرور المنافقين ولا من شرور المتعبدين على جهل .

ومنهـم : من جاوزت به الحياة مراحل الحيوية والنشاط ، وأسلمتهم الى ضعف بعد قوة ، وشيبة بعد شباب ، وافقونا على كل ما أحييناه من السنن ، ولكنهم رددوا فى أسى عميق :

ألا ليت الشباب يعود يوما   فأخبره بما فعل المشيب

ولنا فى هؤلاء كل الأمل أن يهدوا هذا الكتاب لأبنائهم وبناتهم من كان منهم فى بيوت الزوجية ، ومن كان مستشرفا على أبوابها ، ليحققوا ما لم يستطيعوا تحقيقه بأنفسهم ، ولهم أجر المتبعين ان شاء الله .

ومنهـم من أصيبوا بتعقيدات نفسية مستعصية ، جزاء وفاقا لمـا جهلوا وجهلت زوجاتهم من أصول الحياة الزوجية السعيدة ، فانحرفوا بأهدافها الشرعية الى أهداف موروثة عن الآباء والأجداد ، فرغبت الزوجة فى التسلط ، وأبى الزوج الا أن يكون القيم بحكم الله ، واستحر النزاع والشجار ، وتحدى كل منهما أخاه ، وفرغت حياتهما من كل عمل الا من أن ينتصر على خصمه العنيد اللدود ، وافتضح الأمر بين الجيران ، وبليت الرابطة بينهما ، فلولا شباب وشابات من الأبناء لافترقا بالطلاق .

وهؤلاء لا مأرب لهم فى هذا الكتاب ، ولا أمل يرتجى لهم من صلاح حالهم ، ولكن تلقين أبنائهم مبادئهم الخاوية هو

الجرم الأكبر فى حق الاسلام ومجتمع الاسلام •• وعليهم أن يحولوا أبناءهم وبناتهم الى منهج الاسلام ، وأن يضربوا بميزاث الآباء والأجداد عرض الحائط •

ومنهم من اتخذ تزويج البنات تجارة يجمع المال من ورائها ، أو يسد خلة فقره بها فلقنوا بناتهم أصول الكذب والخداع والاختلاس لتحقيق أغراضهم ، وكانت خيانة المال أساس الحياة فى مذهبهم حتى تنتهى بالطلاق وساحات القضاء ، ويتعاقب الرجال على هذا النوع من النساء ، ويتكدس الأبناء فى البيت الواحد أو يتشردون وقد اختلف آباؤهم ، وثار النزاع من أجلهم ، وتتعقد المشكلات ، حتى لا يجد البنات من يرضى بهن أزواجا ، فيندفعن الى ظلمات الدعارة السرية ، وينشأ جيش من هؤلاء البغايا يعمل فى المجتمع عمل الجرثومة القاتلة لكل ما هو رفيع من الأخلاق والآداب والعقائد •

ومنهم من تزوج حسب تقاليد بلده دون أن يرى عروسه ، ولا يدرى مدى موافقتها لذوقه ، فاذا بها تحمل من صفات التنافر معه شكلا ومضمونا ما لا أمل معه فى وفاق ، وقد أثقلته تكاليفها الباهظة حسبما ورثوا وتعارفوا ، ثم كان منها ولد ، ولم يكن فى السكن اليها أمل ، ولم يكن فى تكرار التجربة رجاء فى خير ••

وهؤلاء اما أن يلجأوا الى الشذوذ الجنسى يأملون فيه السكن واللباس •

واما أن يرحلوا الى البلاد النامية التى يكثر فيها البغايا وبناتهن من النوع السابق ، ويتلقفهم السماسرة والوسطاء ، ويقدمون لهم هذا النوع المزق من البنات فى صورة حية

مصطنع ، وعفة مزيفة ، وتكون الكارثة تلو الكارثة ، ويكون للشيخ فى كل دولة من دول الاسلام ولد وزوجة مطلقة ، وروابط مهلهلة ، وأحقاد متأججة ، ومجتمع واهى الروابط ..

واما ألا يكون هذا ولا ذاك ، حيث تهديهم عقولهم المريضة الى اشباع نزواتهم عن طريق الحرام يقطعون اليـه آلاف الأميال ، وينفقون فى سبيله آلاف الدراهم والدنانير والريالات .

والكارثة التى تقع بالعالم الاسلامى بسبب هذا النوع من الناس لا يستطيع العقل تصورها ولا تصويرها فى هذه العجالة .. فالمـال الذى وهبه الله لهم لتنميـة المـوارد الاسلامية ، واعداد القوة لجيش الاسلام ، واستيعاب البطالة والتشرد فى دياره ، ورفع مستويات الحياة بين مجتمع الجسد الواحد ، هذا المـال ينهال بلا حساب على من يستطيعون استغلاله فى بلاد الغرب ، أما فى بلاد الشرق فهو ذاهب لا محالة الى جيوب المحتالين وتجار المخدرات والخمور المغشوشة وغير المغشوشة والقوادين والأفاقين والمجرمين المـأجورين ، وهكذا يهدر المـال الاسلامى فى سبيل احياء تقاليد بالية وعفنـة لا تتفق مع دنيا الحيوان فضلا عن دنيا الانسان .

وهؤلاء لا أمل فى صلاحهم الا بسلطان الاسلام وعصاه من أى مكان كان هذا السلطان وتسلطت هذه العصا ، فالقضية هنا ليست قضية شعب ، وانما هى قضية مجتمع الاسلام كله ، ومسئولية كل المسلمين حيثما وجدوا .. انها قضية مجتمع كبير تملك أمواله كل شعوبه .. فبالأمس استغاث عمر عام المجاعة بعمرو حاكم مصر فأرسل اليه يقول : لقد أرسلت اليك

عير أولها عندك وآخرها عندى ، وكان المصريون سعداء بهذا •

ومنهم من كانت بدايته فى زواجه من أسعد البدايات وأعظمها توفيقا ونجاحا ، ولكن أحد الزوجين تضرب جذور ثقافته وتقاليده الى ثقافة مجتمعات متحررة متحللة الأخلاق ، فالاختلاط غير المشروع ، والسهرات الجماعية ، والتهريج الوضيع ، والاباحية المخربة ، هى قوام حياتهم ، وأساس سعادتهم ، وزودتهم أجهزة الاعلام المسمومة والمرئية والمقروءة بالحوافز الدافعة الى المزيد •

وتبدأ الكارثة بتبادل الزوجات فى حلقات الرقص ، وتحل تقاليد السهرات محل تقاليد الاسلام ، وتضل العيون بين الفتن المعروضة ، والأجساد العارية ، والغواية التى تسلب ألباب العقلاء ، وينسلخ هؤلاء من عالم الاسلام الى عالم الفوضوية والاباحية وجماعات تبادل الزوجات ، ويصبح مجتمع اللذات والشهوات سائدا على تعاون مجتمع الجسد الواحد ، ويصبح ولاء هؤلاء قاصرا على كل من يقدم لهم المزيد من الشهوات ، أو يخلصهم من ملل الشهوات من أباطرة الفوضوية واستعباد الانسان •

وهذا النوع من الناس هو الآخر « ميكروب » شديد العدوى ، لا خلاص للأمة منه الا بتسليط أشد المبيدات فتكا عليه ، وشل عمله بالكلية ، فهى مجاميع من الخلق أينما توجهها لا تأت بخير ، بل انما الشر مهوى قلوبها ، ومنتهى آمالها •

ومنهم شباب صالح كادح مستقيم الطريقة ، يرجو أن يكون له بيت وزوجة وأولاد يرعاهم ، ويزود بهم مجتمع الاسلام شبابا عاملين كادحين ، وزوجات صالحات قانتات ••

فاذا ولى وجهه شطر الزواج والسكن والأمن هاجمته التقاليد العفنة ، والشروط القاسية ، والارهاق المعجز •• ويخوض هذا النوع من الشباب معركة رهيبة من العمل المضنى ، والجهد الثقيل حتى ترضى الفتاة ويرضى أهلها بما فرضته عليهم تقاليد العصر ضد تقاليد الاسلام الهينة اليسيرة •• ويدخل الشاب بفتاته على سنة الله ورسوله •

وقد تكون الأم أو الأب لأى من الزوج والزوجة من نتاج طائفة من الطوائف الضالة التى عرضنا لها ، وتصبح السيطرة والقوامة لأحد هؤلاء الآباء أو الأمهات ، أو لهم مجتمعين على هذا البيت الجديد ، وكل منهم يزود أحد الزوجين بتعاليم وألوان من السلوك قد تختلف مع ميولهما ، ولكن عاطفة الأبوة والأمومة قد تتغلب ، فيسلك الزوج أو الزوجة فى البيت على هدى الآباء والأمهات ، وتسيطر الأفكار البالية على عروسين قد يكونان مرتبطين برباط الحب ، وينقل الآباء والأمهات معركتهما الشخصية الى البيت الذى يعيش فيه أبناؤهما ، والكارثة حينئذ معروفة لا تحتاج الى بيان •

ومن هذا النوع طائفة لا يتدخل آباؤهم ولا أمهاتهم فى حياتهم ، ولكن الزوجة تتطلع الى من فوقها من مثيلاتها ، وتريد زوجها على أن يزودها بمثل ما يتمتعن به فى حياتهن من وسائل الحياة •• فهى من ورائه ترهقه ، وهو يكدح ليله ونهاره ، وقد يفى لها بما تريد ، وقد لا يستطيع ، فيكون النزاع والوجوم •

وتستهلك طاقة الزوج فى ارضاء نزوات الزوجة المخلصة الجامحة النازعة الى ما هو فوق •• ويهمل الزوج راغما كارها

فى واجباته الزوجية الخاصة ، بعد ما أعياه العمل الدائب ، والجهد القاتل ، وتبدأ النفوس ترعى عقدها بالنماء والاستعصاء .

ولكن هذه العقد سهلة الحل اذا أسعفت بالعلاج من بدايتها .

والعلاج الشافى لهؤلاء الزوجات الصالحات : أن يعلمن أن السعادة لا يمكن مطلقا أن تأتى من خارج الانسان ، فكل من اعتقد أن سعادته مرهونة بما يضفى على ذاته من اللباس الفاخر ، وما ينفقه من مال وغير على مظهره فهو مخطىء كل الخطأ .

وانما تنبع السعادة من داخل الانسان .. من التقييم الحقيقى للمشاعر والأحاسيس ، والتقييم الحقيقى للمتاع الزائل . فالحب دائم و « تسريحات الشعر » زائلة بعد يوم أو بعض يوم ، والأثاث الفاخر صائر الى البلى ، واللباس الفاخر متغير « الموضة » بعد قليل كما خطط شياطين الانس ، المخربون لكل عمران ، الهادمون لكل دائم من المشاعر والأحاسيس .

وقوة الزوج وسلامة نفسه وجسده لا تأتى الا من راحته ، وانما ارهاقه يعجل بشيخوخته ، ويحرم الزوجة متاع الفطرة .

والرضا كنز السعادة الذى لا يقدره الا أهل العقل السليم ، والسخط على المقسوم من الرزق بلاء وهم مقيم لا يزول ، ولا يشبع صاحبه مهما أوتى من المزيد بعد المزيد .

ونظر الانسان الى من دونه هو السعادة العظمى ، والأمل فى الله وحده هو القوة التى لا تقهر .. وتصديق وعده سبحانه هو الاكسير الذى افتقده الناس .

« ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله » (النور : ٣٢)
هكذا يقول الله تعالى ، وهكذا فعل مع الراضين المؤمنين ..
ولكن بعض الزوجات لا يصدقن الله ، ولو شغلن أنفسهن بالتأمل فى المجتمع لوجدن المئات من الأمثلة على صدق الله تعالى فى وعده للراضين الخاضعين المتوجهين الى شرع الله بالاجلال والالتزام .

ومنهم من قدر الحياة الزوجية حق قدرها ، وكان آباؤهم من عقلاء الآدميين ، ولم ترعهم من تبعات الزواج فادحة ، ولكن أحد الزوجين يعتبر الانطلاق والحرية النفسية والجسدية فى الممارسة الجنسية ومقدماتها عيبا لا يليق ، ولا يتفق مع ما نشأ عليه من الاحتشام والبعد عن فاحش القول والعمل .

ولا ضرر اذا اتفقا على هذا المسلك ، ولم يختلفا ، ولكن الكارثة تحدث حينما يريد أحد الزوجين الحرية ، ويريد الآخر الانكماش فى العلاقة الجنسية ، فان طالب الحرية ، والراغب فيها ، ان لم يجد عصمة من دين ، ولا مقاومة من نفس ، فانه متدهور بالضرورة فى وحل الرذيلة .

الحصاد المشئوم :

والحصاد المشئوم للخطأ فى أداء العلاقة الجنسية بين الزوجين ، وللخطأ فى فهم القيمة الشرعية للزواج ــ أكثر من الحصاد المبارك دون نزاع .. وان لم يكن الحصاد المشئوم أكثر فى هذا العصر ، فهو على الأقل حصاد يهدد مجتمع الاسلام بالفصام والتحلل .

ونحن نؤكد أن حصاد الشؤم غالب على حصاد الخير

والبركة لأسباب وأدلة نأخذ بها اذا قسنا قيمة الشىء بنتائجه الظاهرة حينما يتعذر علينا اجراء بحث ميدانى بين الأزواج والزوجات ، لنقيس العلاقة على طبيعتها .

١ ــ انعدام المودة والرحمة بين أفراد الأسرة الواحدة أو ضعفها سمة غالبة فى الأسر على مستوى العالم الاسلامى كله .. فهناك جرأة الأبناء على الأبوين ، والتنافر بين الأشقاء ، بل ووقوع جرائم القتل بينهم لأسباب مادية تافهة ، وذلك دليل على أن العلاقة بين الزوجين لم تكن كما أراد الاسلام ، ومن ثم لم يكن من نتائجها المودة والتراحم بين أعضاء الأسرة الواحـدة .

٢ ــ مجموع المفترقين بالطـلاق ، والمتنازعين غـير المطلقين ، والكارهين المقيمين على مضض ومعاناة يغلب على مجموع السعداء الذين لا تشكل الخلافات بينهم مشكلة .

٣ ــ شيوع البغاء ، وكثرة المقبلين على بيوت الدعـارة السرية من المتزوجين .

٤ ــ شيوع الأمراض النفسية المسببة عن قلق الحياة الزوجية بين الأزواج والشباب ، مثل الاكتئاب ، والقلق ، والنورستانيا ، والشيزوفرينيا .

٥ ــ انتشار المخدرات والعقاقير الجنسية بصورة تشكل ظاهرة خطيرة ، لاسيما فى بلاد البترول .

٦ ــ هروب الأزواج من بيوت الزوجية الى المـقاهى والأندية الليلية ، والتسكع فى دور الخيالة والمسارح ، وغياب الرقابة على الأبناء ، ومشاركتهم بالمساعدة للوصول الى مستقبل أفضل .

٧ ــ وانطلاقا من كل ذلك : تحلل الروابط بين العشائر ، وتدهور فضيلة صلة الأرحام ، والتكافل الاجتماعى •

٨ ــ تدهور الروابط الأخوية بين الشعوب الاسـلامية ، وعدم التئامها الا لفترات خاطفة ما تلبث أن تزول ، ويعود التناحر والتآمر بينهم •

* * *

هذه هى بعض ظواهر الحصاد المشئوم الناشىء من أخطاء العلاقات الزوجية الصحيحة بين الزوجين فى البيت الواحد •

ولو كانت العلاقات الزوجية لباسا للزوجين وسكنا كما أرادت شريعة الاسلام ، لكانت المودة والتراحم فى البيت الواحد نبعا فياضا غزيرا ينطلق فى قوة الى العشيرة والمجتمع ، ثم عالم الاسلام كله •

وبمقارنة بسيطة بين الجيل الجديد والجيــل المـاضى أوائل هذا القرن ندرك تلك الحقيقة واضحة ساطعة •

فالحقوق الزوجية فى الجيل المـاضى كانت مرعية على قدر كبير من الدقة والاحترام ، ولهذا كان الأب هو سـيد البيت ، وكانت الأم راعية الأبناء ، وكان كل فــرد فى الأسرة يعرف مكانه فلا يتعداه الى غيره من أماكن القيادة ، ولهذا كانت صلة الأرحام والتكافل الاجتماعى قوة قاهرة لكل عوادى الزمان ، وجحافل الالحاد •

كان لكل أسرة عميد مسموع الكلمة بين أفرادها ، وكان يتجاوز مكانه فى بيته الى أماكن رجال عشيرته مرشدا وناصحا

ينشر لواء الحب بينهم ، ويقضى على منازعاتهم بعيدا عن ساحات القضاء .

أما الجيل الحاضر فان الأب فى بيته لا يستطيع صد هجوم ولده على سلطته ، ان لم يتهمه الولد بالسفه وسخافة الرأى .

من هنا كانت الثقافة الزوجية لا تعنى شروط العقد والوليمة وخطبة العقد والدعاء للعروسين وما أشبه ذلك من أحكام الفقه ، وانما تعنى الثقافة الجنسية المقصودة من الزواج بالدرجة الأولى مهما حاول المضللون أن يستروها بستار من الأدب الكالح .

لقد ارتفعت أصوات كثيرة تدعو الى الثقافة الجنسية ، وعارضتها أصوات ، ولكننا نؤيد فكرة الثقافة الجنسية للزوجين فى ضوء الكتاب والسنة ، بل وندعو الى أن تكون جزء من مناهج التعليم فى بلاد الاسلام ، حتى نجنب الأجيال مزيدا من جيوش الفتنة والغواية ، وننأى بها عن مزيد من التقاطع والتدابر والتناحر ، لأننا كما قلنا ونعيد القول : نؤمن بأن المودة والرحمة المنشودين لمجتمع الجسد الواحد الاسلامى يبدآن من البيت ، ولا ينبعان الا من بين زوجين ، ولا يمكن أن يتأصلا بين زوجين الا من خلال علاقة جنسية ناجحة كما حدد منهجها الاسلام .

* * *

وان التأمل الدقيق والواسع فى تشريع الاسلام يؤكد الأهمية القصوى لهذه العلاقة فى بناء مجتمع الاسلام .

فلا ينكر مسلم أن الاسلام من دون الشرائع هو الذى

شرع أخوة الانسان للانسان فى قوله صلى الله عليه وسلم : « وكونوا عباد الله اخوانا » . وأخوة الانسان للانسان لا يمكن أن تنبت من فراغ بل ان أرضها التى تنبت منها هى مجتمع المسلمين : **« انما المؤمنون اخوة »** (الحجرات : ١٠) . ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المسلم أخو المسلم » وقد ربط الرسول عليه الصلاة والسلام حب المسلم لأخيه بالايمان فقال : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » . وقال : « لا تؤمنوا حتى تحابوا » .

ولا ينكر مسلم أن المقصد الرئيسى من ارسال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الى الناس جميعا انما هو « الرحمة بالعالمين » . فقد أعلن الله ذلك فقال : **« وما أرسلناك الا رحمة للعالمين »** (الأنبياء : ١٠٧) . وأقر الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك فقال : « انما أنا رحمة مهداة » . وقرر الله تعالى أن من سمات مجتمع الاسلام سيادة صفة « التراحم » فقال فى وصفهم : **« رحماء بينهم »** (الفتح : ٢٩) .

ولما كان التواصل والمودة بين المؤمنين من أسباب تأصيل خلق الرحمة بينهم فقد أمر الله بمواصلة الأرحام فى قوله تعالى : **« واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام »** (النساء : ١) وقال فى الحديث القدسى : « خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمى ، فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها قطعته » . فوعد المتوادين المتراحمين بالوصلة الالهية ، والنصرة فى كل أمر ، وتوعد القاطعين للأرحام المتنافرين بينهم بالقطيعة والخذلان . وجعل الفساد فى الأرض قرينا لقطع الأرحام فقال : **« فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم »** (محمد : ٢٢) .

وهنا تبرز صفة جديدة لمجتمع المؤمنين هى « المودة » الى جانب « الرحمة » . وهما الصفتان اللتان أعلن الرسول صلى الله عليه وسلم أنهما من أسباب وحدة المشاعر والأحاسيس بين المسلمين فى أرجاء الأرض كلها فقال : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد ، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » .

والى هنا ما زال السؤال قائما : هل تنبت المودة والرحمة اللازمتان لقوة مجتمع الاسلام ، والمرتبطتان بعقد الايمان من فراغ ؟

معاذ الله ، وانما المنبع الأول ، والبذرة الأولى ، والأرض الطيبة التى تضرب المودة والرحمة بجذورها فيها هى : بيت الزوجية الاسلامية . وقد أعلن الله تعالى هذا الأصل فى قوله :

« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة » . (الروم : ٢١) .

مودة ورحمة بين رجل مقصـــور على زوجته ، وزوجة مقصـــورة على زوجها .. ولا يشترك فى هذه المودة والرحمة ابتداء غير الأبناء حتى تصبح خلقا راسخا . ثم من البيت كله الى الأرحام ، ثم الى رحم الاسلام كله ، ثم الى عقد الايمان أولا وأخيرا .

ونعود فنقول : لا يمكن أن تنبت المـــودة والرحمة بين الزوجين الا من خلال السكن كما قرر خالق الزوجين .. والسكن لا يكون الا من نجاح تجربة الاتحاد بين الزوجين وكأنهما شخص واحد ، وما الاتحاد الا فى علاقة جنسية تغمرها العاطفة الرقيقة من الجانبين .

والذين يجردون الاسلام من شرف العناية بالعــلاقة الجنسية بين الزوجين يجردونه من شطر هائل من تشريعاته •
فقد قصر الاسلام كلا من الزوجين على الآخر •

وأمر الرجل والمرأة بغض البصر وحفظ الفرج الا عن الحــلال •

وأمر الزوجات بالقرار فى البيت ، وبالحجاب عند الخروج •

وشرع أقسى الحدود للزناة والزانيات •

وحرم الخلوة بين ذكر وأنثى الا لذى محرم أو زوجين •
وفى الوقت نفسه فجر طاقة الجنس فى كل من الرجل والمــرأة •

وحدد طريقا واحدا لاشباعها وارواثها هو الزواج •

فهل يكون زواج بلا علاقة جنسية ؟ وهل تغنى أى علاقة فى سكون الكيان البشرى من الاضطراب ؟ وهل يمكن أن تستقر تلك التشريعات دون معاشرة زوجية ؟ •

لا •• بل ان الاسلام بعظمته أراد بناء انسان متكامل جسديا وعقليا وعاطفيا ، برىء من غوائل الكبت والحرمان فى أى من هذه النواحى ، حتى يتكامل عمله فى بنــاء مجتمع الاسلام ، وعلى طريق دعوة الاسلام •

وانسان قوى الجسد مضطرب العواطف ناقص أو مفسد فى الأرض •

وانسان متطلع الى الشهوات خارج بيته مفسد فى الأرض لا محالة •

وقد يقول قائل : ان مجتمعات الغرب لا تعير هذه العلاقة اهتماما يذكر ، وهى مجتمعات ناجحة متقدمة سابقة فى العلم والاختراع .

ونقول : ان هذه المجتمعات لم تفقد غرائزها ، ولكنها فقدت قصرها على بيت الزوجية ، وفقدت كذلك قصر عواطفها على الزوجات ، بل تركت غرائزها وعواطفها متحررة من كل قيد ومن كل عرف ، حتى أصبح التهتك أصلا ، والعفة مرضا نفسيا تعالج منه الفتيات .. وأقرب الأمثلة على ذلك أن امرأة انجليزية عرضت ابنتها البالغة من العمر ثلاثة عشر عاما على طبيب نفسى لأنها لم تصادق أحدا من الشباب .

فمن أين لمجتمع مثل هذا أن يعير هذه الغريزة أى اهتمام فى بيت الزوجية ؟

ونعود الى القول : ان مجتمع الرسالة الخاتمة هو الذى يجب أن تقاس به المجتمعات ، وليس العكس .. ومجتمع الاسلام ما زال مكلفا بالجهاد « **حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله** » (الأنفال : ٣٩) . بينما نسخت الشرائع التى تقوم عليها هذه الأمم .. وشريعة الاسلام شمولية فى كل شىء .. شمولية فى مسطح الدعوة .. شمولية فى استخدام كل المواهب والمدارك .. شمولية فى الأخوة الانسانية انطلاقا من الأخوة الاسلامية .. وليس كذلك شعب من تلك الشعوب التى يتحدث عنها المعترضون .

* * *

اننا لم نبتدع شيئا جديدا عن نصوص الاسلام فى الكتاب والسنة ، ولم نكلف الانسان جديدا من التكليف لم يشرعه

الله ، ولم نحاول بعث عاطفة لم يدع الاسلام الى بعثها واحيائها داخل بيت الزوجية ، وانما ندعو المسلمين الى استخدام ما أمرهم الله باستخدامه من العقل والوجدان وطاقات الجسد الأخرى لبناء الأصلين اللذين يقوم عليهما مجتمع الجسد الواحد ابتداء من اندماج زوج وزوجة فى كيان واحد على طريق الازدواج المشروع .

فان لم يفعلوا فقد كفروا نعمة الله وستروها عن الظهور ، وما نعمة الله المكفورة الا المودة والرحمة اللذان ربطهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بعقد الايمان نفسه . ولعل هذا هو السبب الرئيسى فى عناية المستنيرين من العلماء بهذا الموضوع ، اما فى موضوعات متناثرة كلها لا تخرج عن اطار الكتاب والسنة ، كالامام الغزالى ، والسيد مرتضى الحسينى الزبيدى ، وابن الجوزى ، وابن الحاج ، ومحيى الدين بن عربى ، وعبد الغنى بن اسماعيل النابلسى ، والأخيران قد ارتفعا بموضوع التزاوج الى ما وراء المنظور من الكون فى كتاب « النكاح المطلق » لابن عربى ، و « شرح الطريقة النقشبندية » للنابلسى .

واما فى كتب مستقلة ، كما فعل الامام الحافظ أبو الفضل جلال الدين السيوطى فى كتابه « رقائق الأترج » و «الايضاح» و « شفاء الغليل » و « مقامة العلماء » وكلها مخطوطة لم تطبع .

وفق الله أمة الاسلام الى طريقها من بدايته ، وحقق لها نهايته .. انه سميع مجيب الدعاء .

* * *

محتويات الكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٤٦٨٨/ ٨٠
الترقيم الدولى ٩ ــ ٣٩ ــ ٧٠٦٧/٧٠٦٧ ٩٧٧

هذا الكتاب

* المودة والرحمة صفتان لازمتان للزواج الناجح كما جاء فى القرآن . . وهما كذلك صفتان لازمتان لمجتمع الاسلام كما جاء فى السنة . . وهما صفتان تنشآن بين زوج وزوجة ، ثم بين الأبناء ، ثم العشيرة ، ثم المجتمع .

* وفراغ المجتمع منهما يعنى انعدامها بين الزوجين . . وهذا هو سبب الطلاق والمشكلات المترتبة عليه .

* غفل المسلمون عن هذا . . وأهمل العلماء أن يتحدثوا عن نبع المودة والرحمة ، وهو اللقاء بين الزوجين . . بينما تكلم فيه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه

* هل يجوز أن ينظر كل من الزوجين الى عورة صاحبه ؟

* هل يجوز أن يتجرد الزوجان من ملابسهما أثناء اللقاء ؟

* هل يجوز أن يتبادلا من الكلام مالا يجوز فى غير هذا الحال ؟

* هل هناك حرية فى الوضع الجسدى للزوجين أثناء اللقاء ؟

* كيف تحول الزواج عن مقصده الشرعى للجهل بهذا الموضوع

* كل ذلك وغيره يجده القارئ فى هذا الكتاب مدعما بأدلة الكتاب وآراء كبار العلماء ، ورجال الفقه والحديث .

الثمن ٧٥